الأبحاث والدراسات 71

صور من التاريخ السياسي والحضاري لبلاد نجران وتهامة والسراة قبل الإسلام وبعده (*)

أ.د. غيثان بن علي بن جريس

(*) دراسة منشورة في كتاب: منطقة نجران: دراسات، وإضافات، وتعليقات (من قبل الإسلام ـ ق ١٥هـ / ق ٧ ـ ق ٢١ م)، لغيثان بن جريس، (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤١ هـ / ٢٠١٩م)، (الجزء الأول)، ص ص ١٣ – ٧٤.

١

الدراسة الأولـــى

صور من التاريخ السياسي والحضاري لبلاد نجران وتهامة والسراة قبل الإسلام وبعده.

بقلم : أ . د . غيثان بن علي بن جريس

الدراسة الأولى: صور من التاريخ السياسي والحضاري لبلاد نجران وتهامة والسراة قبل الإسلام وبعده: [١]

م	الموضوع	الصفحة
١-	أولاً: مدخل	١٥
٢	ثانيا: صور من صلات نجران وتهامة والسراة مع غيرها قبل الإسلام	١٦
	١. صلات نجران وتهامة والسراة مع اليمن	١٦
	٢. صلات نجران وتهامة والسراة بمكة المكرمة	١٩
	٣. صلات نجران وتهامة والسراة مع الروم	٢٣
	٤. صلات نجران وتهامة والسراة مع الحبشة	٢٧
	٥. صلات نجران وتهامة والسراة مع الفرس	٣٠
	٦. صلات نجران وتهامة والسراة مع بعض الأحلاف أو القبائل في الجزيرة العربية	٣١
٣	ثالثا: صور من تاريخ نجران وتهامة والسراة في عصر الرسول ﷺ	٣٥
	١. تمهيد	٣٥
	٢. إسلام بعض السرويين والتهاميين والنجرانيين	٣٩
	أ. إسلام دوس	٣٩
	ب. إسلام بجيلة	٤٢
	ج. إسلام مراد، وزُبيد، وبارق، والأزد	٤٥
	د. نجران والإسلام	٤٩
	٣. المرتدون في اليمن ونجران وتهامة والسراة في عصر الرسول ﷺ	٥٤
٤	رابعا: صور من تاريخ نجران وتهامة والسراة في عصر الخلفاء الراشدين والأمويين:	٥٧
	١. ردة أهل نجران وتهامة والسراة في عهد الخليفة الراشد أبي بكر الصديق رضي الله عنه	٥٧
	٢. دور أهل نجران وتهامة والسراة في الفتوحات الإسلامية المبكرة	٦٤
	٣. الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ونصارى نجران	٧١
٥	خامسا: آراء ووجهات نظر	٧٣

(١) نقصد بكلمة (بعده)، أي منذ ظهور الإسلام في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى عصري الخليفتين الأمويين معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد، أي ستينيات القرن الهجري الأول (السابع الميلادي) وقد ندرس مستقبلاً في سلسلة كتابنا: القول المكتوب في تاريخ الجنوب بعض الجوانب التاريخية والحضارية لبلاد نجران وتهامة والسراة وبخاصة في عصر بني أمية وما تلاه من عصور التاريخ الإسلامي المبكر والوسيط والحديث.

أولاً : مدخل :

بلاد نجران وتهامة والسـراة هي الأوطان الواقعة بين حواضـر اليمن والحجاز، ومن مراكزها القديمة نجران، وجرش، وبيشـة، وتبالة، وأزد السـراة، والطائف[١] . وجازان، وصـبيا، وبيش، والبرك، ووادي يبه وقنونا، والسـرين، وعشـم وغيرهـا[٢] . والباحث في تاريـخ وحضـارة هذه البـلاد قبل الإسـلام لا يجد عنها الشـيء الكثير، مـع أنها مواطن اسـتيطان قديمة، فيوجد بها العديد من البطون والقبائل العربية القديمة، كما أن موقعها الجغرافي استراتيجيا فهي تربـط بين اليمن والحجاز من الجنوب والشـمال، وتطل على البحـر الأحمر من الغرب، وتمتد حدودها الشـرقية حتى تلتقي بالربع الخالي وبلاد نجد وما جاورها شـرقاً، بالإضـافة إلى أنها أرض خيرات اقتصادية متنوعة: كالرعي والصيد والزراعة والتجارة والحرف والصناعات التقليدية المختلفة [٣].

ومن المحاور المهمة والجديرة بالبحث والدراسة في هذه النواحي النجرانية والتهامية والسروية قبل الإسلام وبعده، التي نوصي ببحثها ودراستها، ما يلي :

١. تاريخ القبائل العربية التي تستوطن نجران وتهامة والسراة منذ العصور القديمة، أصولها، أنسابها، مواطنها، حروبها، علاقتها مع بعضها البعض، هجراتها، دورها الحضاري والسياسي قبل الإسلام وبعده، علاقاتها مع غيرها داخل الجزيرة العربية وخارجها، أعلامها قبل الإسلام وبعد.
٢. تاريـخ العناصـر غير العربية التي عاشـت في بلاد نجران وتهامة والسـراة منذ العصـر الجاهلي حتى القرون الأولى من العصر الإسلامي، أصولهم، علاقاتهم بالعنصر العربي، إسهاماتهم التاريخية والحضارية في مجتمعاتهم .
٣. تاريخ الحياة السياسية أو الاجتماعية، أو الاقتصادية في المجتمعات النجرانية والتهامية قبل الإسـلام وبعده حتى نهاية العصر الأموي أو العباسي، وكذلك الصلات التاريخية والحضارية لهذه المجتمعات مع بعضها البعض أو مع البلاد اليمانية أو الحجازية.
٤. تاريخ الحياة العلمية والثقافية والفكرية في نجران وتهامة والسراة قبل الإسلام، أو بعده حتى القرن الثالث أو الرابع الهجري (التاسع أو العاشر الميلادي) .

والمتأمـل في حياة النجرنيين والسـرويين الأدبية والثقافية قبل الإسـلام، يجد أن لغتهم وأشعارهم كانت نشطة، والفاحص لكتب التراث الإسلامي المبكر سوف يجد شعراء مشاهير في الأدب الجاهلـي من بلاد نجران وتهامة والسـراة والبعض منهـم قد جاءوا أو عبروا هذه

---

(١) جميع هذه الحواضر في البلاد النجرانية والسروية الممتدة من نجران حتى الطائف، وهناك مراكز حضارية أخرى في هذه السـروات، وقد أشارت إليها كثير من المصـادر التاريخية، والأدبية، واللغوية، والجغرافية وغيرها . ونأمل أن نرى بعض طلابنا في درجتي الماجستير والدكتوراه بقسم التاريخ في جامعة الملك خالد يوجهون بعض دراساتهم وأطروحاتهم العلمية إلى هذه النواحي السروية المختلفة .

(٢) كل الحواضـر الآنف ذكرها في المتن تقع في الأجزاء التهامية الواقعة بين مكة المكرمة وجازان، وهي الأخرى تحتاج إل من يدرسها ويدون تاريخها وحضارتها بشكل علمي رصين .

(٣) كل هذه المؤهلات التي امتازت بها نجران والسراة واضحة للعيان، ويتضح ذلك من خلال تجوالنا في مناكبها ثلاثين عاماً، وفحص آثارها ونقوشها ورسوماتها الصخرية، وكذلك القراءة عنها في كثير من مصادر التراث الإسلامي المبكر .

الأوطان النجرانية والسروية، ومنهم على سبيل المثال: امرؤ القيس ،والأعشى، والشنفرى، وحاجز الأزدي، وتأبط شراً، وسليك بن السلكة[١]. وعمرو بن معديكرب الزبيدي وغيرهم[٢].

وفي هذا القسم الذي بين أيدينا سوف نقصر حديثنا على رصد صفحات من تاريخ نجران وتهامة والسراه منذ عصر ما قبل الإسلام إلى العقد السادس من القرن الهجري الأول (السابع الميلادي) . وهناك محاور ثلاثة سوف تكون مجال نقاشنا، وهي: **(١)** لمحات من العلاقات التاريخية والحضارية لأهل نجران وتهامة والسراة مع غيرهم من الأمم والمجتمعات داخل الجزيرة العربية وخارجها في العصور السابقة للإسلام. **(٢)** صفحات من تاريخ نجران وتهامة والسراة في عهد الرسول ﷺ . **(٣)** شذرات من تاريخ نجران وتهامة والسراة في عصر الخلفاء الراشدين (١١-٤٠هـ/٦٣١-٦٦٠م)، والعقدين الأوليين من عصر دولة بني أمية (٤٠-١٣٢هـ/ ٦٦٠- ٧٤٩م) .

ثانيا : صور من صلات نجران وتهامة والسراة مع غيرها قبل الإسلام :

من الصعب أن نلم بالصلات التاريخية والحضارية بين بلاد نجران وتهامة والسراة وغيرها قبل الإسلام، ولكن في الصفحات التالية نورد لمحات من تلك العلاقات، وهي على النحو التالي:

١. صلات نجران وتهامة والسراة مع اليمن:

كانت نجران وتهامة والسراة مستقلة عن اليمن في معظم فتراتها التاريخية، إلا أنها ارتبطت بها في بعض الأطوار السياسية، وسوف نتناول هذا الموضوع من خلال التقسيم الزمني لدويلات اليمن المتتابعة، التي تتمثل في دول معين وسبأ وحمير، فقد قامت دولة معين في الفترة الممتدة (١٢٢٠ق م - ٦٣٠ ق م) في منطقة الجوف بن نجران وحضرموت في الجنوب وتمتد إلى شمال الحجاز حتى فلسطين[٣]، ولهذا فالعلاقة في الدور المعيني كانت سيطرة نفوذ فقط، ونستدل على ذلك من أن بعض قبائل نجران والسراة مثل : خولان [٤]، كان يتردد ذكرها في نقوش دولة معين[٥].

---

(١) الشنفرى، وحاجز الأزدي، وتأبط شراً، وسليك بن السلكة، استوطنوا جميعهم في بلاد السراة قبل الإسلام، وعرفوا بالخلعاء أو الصعاليك، بل أطلق عليهم وأمثالهم (شعراء الصعاليك)، ومنهم العرب، وغير العرب، إلا أنهم كانوا أصحاب شعر جيد حتى إن كانوا مطرودين أو منبوذين من مجتمعاتهم، وهم جديرون بالبحث والدراسة مع الحرص على معرفة علاقاتهم السلبية والإيجابية بمجتمعاتهم السروية والتهامية . للمزيد انظر عبد الحليم حفني . شعر الصعاليك منهجه وخصائصه (القاهرة، ١٩٧٧م)، ص٣٧ وما بعدها، يوسف خليف . الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي (دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩م)، ص٨٠ وما بعدها .

(٢) عمرو بن معد يكري الزبيدي من أهل السروات، وتحديداً من بلاد زبيد في أرض قحطان . والدارس لأدب وشعراء نجران سوف يجد عددا لابأس به من فحول الشعراء النجرانيين . ونقول إن دراسة كل شاعر من شعراء نجران وتهامة والسراة قبل الإسلام يستحق أن يكون عنوانا لرسالة ماجستير أو بحث علمي أكاديمي .

(٣) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي، ط القاهرة، ج١ ص٢٣، صالح أحمد العلي : محاضرات في تاريخ العرب، دار الكتب للطباعة والنشر بجامعة الموصل، بغداد، ج١، ص١٩ . وبيومي مهران : تاريخ العرب القديم، (الإسكندرية، ١٩٨٨م)، ص١١ .

(٤) خولان : هو مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن زيد بن كهلان بن سبأ، وذكر ابن حزم أنه كان لخولان كثير من الولد مثل أبي إدريس حبيب وعمرو، والأصهب، وقيس، ونبت، وبكر، وغيرهم، انظر القلقشندي : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبناني، ط٢، ١٩٨٤م، ص ٢٤٨

(٥) صالح العلي، ص ١٩ . مازلنا بحاجة ماسة إلى دراسة الآثار والنقوش والكتابات التي أشارت إلى تاريخ وحضارة بلاد نجران وتهامة والسراة قبل الإسلام . ونأمل من أساتذة التاريخ القديم أن يفيدونا في هذا الجانب .

ويمكن تقسيم علاقة نجران وتهامة والسراة بسبأ إلى أربعة أدوار : الدور الأول كانت البلاد النجرانية والسروية والتهامية مستقلة عن مملكة سبأ على الرغم من محاولة ملوك سبأ مثل المكرب (سمة على ينف) و (ويثع إمريين) إخضاعهم، ومن ثم جردوا عليهم عدة حملات أوقعت بهم خسائر فادحة في جرش وعسير ونجران فقتلوا منهم حوالي خمسة وأربعين ألف رجل، وأسروا ثلاثة وستين ألف أسير، وغنموا واحداً وثلاثين ألف رأس من الماشية، وأحرقوا عدداً كبيراً من قراها ومدنها[١]. وعلى الرغم من كل هذه الخسائر التي أصابت قبائل السراة خاصة في نجران، فقد أخفق ملوك سبأ في فرض نفوذهم عليهم في الدور الأول من حكمهم لليمن .

أما الدور الثاني فيعتبر امتداداً للدور الأول لأن نفس المحاولات تكررت من ملوك سبأ مثل (شعر أوتر) فقد جرد عدة حملات، واحدة على الأشاعرة في جازان، وأخرى لإخضاع قبائل نجران ومن يعاونهم من الأحباش، لأن نجران كانت تدين بالولاء للأحباش حيث كان يجمعهم مذهب اليعاقبة[٢]، مع أن الملك (شعر أوتر) قد تمكن من فرض نفوذه على اليمن إلا أنه أخفق في بسط نفوذه على أرض نجران وتهامة والسراة، ولا سيما الأراضي الواقعة على ساحل البحر الأحمر من الأوطان التهامية حيث كان يسيطر عليها حكام معارضون " لشعر أوتر"[٣].

أما الدور الثالث فقد تجددت الثورة بصورة أشد عنفاً كما تشير النصوص الأثرية[٤]، التي تشير إلى أن بعض قبائل نجران وتهامة مثل عك وما جاورها تحرشت بجيوش ملك سبأ [٥]، الذي فوجئ بكثرة جيوش تلك البلاد، فعاد ووضع خطة أخرى لمحاربتهم ومن يعاونهم من الأحباش، وقبل بدء المعركة أرسل ملك سبأ فرقة استطلاعية لاستكشاف أخبار بلاد نجران وتهامة والأحباش، ثم جرد عليهم حملة عسكرية في ديار بيشن[٦]، ودارت معارك عديدة انتهت بانتصار ملك سبأ[٧]، ثم تطورت محاولات ملوك سبأ حتى بلغت حد إكراه بعض القبائل السروية على الخضوع لملوك سبأ، ويتمثل ذلك عندما قامت الثورة في نجران على الملكين وهما (صحيم بن جشم، وال شرح يحضب) اللذان حاصرا نجران لمدة شهرين، ولكن انتهى الحصار بالفشل بسبب الدعم الذي تلقته نجران من سبقل وهو ممثل

---

(١) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٢، ص ٢٨٣ . (الطبعة الثالثة) ، ج٢، ص ٢٨٣ وربما كان هذا العدد مبالغاً فيه ونحتاج إلى مصادر أخرى تؤكد أو تنفي ما تم الإشارة إليه .

(٢) للمزيد انظر، مهران، ص ٢٨١، ٣٠٧، أحمد أمين . فجر الإسلام (القاهرة، ١٩٧٨م) ص ٢٦ .

(٣) جواد علي، ج٢، ص ٤١٢، ج٦، ص ٦١٤ .

(٤) يشير نص الكتابات التي وسمت (jamme 594) (jamm575) وفيها أخبار عن معارك وقعت بين الملك الشرح يحضب وبين الأحباش ومن كان إلى جانبهم من الديار التهامية . جواد علي، ج٢، ص٤٢٦ .

(٥) ذكر جواد علي أن ملك سبأ يسمى (ال شرح يحضب) ، المفصل، ج٢، ص٤٢٧، ٤٢٨ .

(٦) لمزيد من التفصيلات عن وادي بيش وما جاوره من الأودية التهامية، انظر: عبد الرحمن الشريف، جغرافية المملكة العربية السعودية (الرياض : دار المريخ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ج١، ص ١٧٢ وما بعدها، انظر أيضاً فؤاد حمزة . في بلاد عسير . (القاهرة، ١٩٥١م) ص ٤٥ .

(٧) جواد علي، ج٢، ص ٤٣٨ .

الحبشة في نجران[١]، ثم أعاد الملكان الكرة وهاجما نجران فانتصرا وحصلا على غنائم كبيرة وعادا بها إلى صنعاء ثم أخذا عدداً من أبنائهم رهائن حتى يضمنا خضوعهم، ومع ذلك لم تخضع أوطان نجران وتهامة والسراة لملوك سبأ في تلك المرحلة[٢].

أما في الدور الرابع فقد نجح ملوك سبأ في إخضاع نجران وتهامة والسراة لهم في الفترة الممتدة من (٣٠٠ حتى عام ٥٢٥م)، عندما حمل ملوك سبأ لقب (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنات وأعرابها في المرتفعات والتهائم)[٣]، وليس أدل على ذلك من خضوع بلاد نجران وتهامة والسراة لمملكة سبأ في الدور الرابع من أدوار تاريخها، وأن نجران أصبحت عاصمة اليمن ومقراً للحكم في عهد مملكة مهامر، وأيضاً مقراً للجيش حيث انطلقت من نجران حملة نحو الأنباط في الشمال فدمرتها[٤].

أما صلات النجرانيين والسرويين والتهاميين بدولة حمير، فقد ظهرت مملكة حمير سنة (١١٥ق م)[٥]، وكانت تمتاز بطابع عسكري، واشتهر ملوكها بالقيادة العسكرية مثل (شمر يهرعش) الذي جرد على أهل نجران والسراة وتهامة حملة عسكرية تتبعتهم حتى ساحل البحر الأحمر وانتصرت عليهم، وسير حملة أخرى تضم مئة وسبعين محارباً تحت قيادة (وفيم أحبر) لمهاجمة قبائل عك وقد حققت بعض الانتصارات عليهم[٦]، وتوجت انتصارات شمر يهرعش بخضوع منطقة نجران في النصف الثاني من حكمه، ولكن سيطرته على بقية نجران وتهامة والسراة، كانت تمثل خطراً على امرئ القيس مما دفعه إلى أن يحارب شمريهرعش، كما يشير إلى ذلك نص النمارة[٧] من الانتصار عليه[٨]، ثم حارب قبائل مذحج[٩]، ومعد[١٠]، ونجح في بسط نفوذه على بلاد السراة من الشمال حتى نجران في الجنوب[١١].

---

(١) المرجع نفسه، ج٢، ص ٤٣٨ .

(٢) المرجع نفسه، ج٢، ص ٤٣٨، ٤٣٩ .

(٣) مهران، ص ٢٧٢ .

(٤) جواد علي، المفصل، ج٢، ص ٥٠٧، ٥٠٨ .

(٥) حسن إبراهيم حسن، ج٢، ص٢٨ .

(٦) جواد علي، المفصل، ج٢، ص ٥٤٤، ٥٤٨ .

(٧) للمزيد انظر المرجع نفسه .

(٨) جواد علي، ج٢، ص ٥٤٨، ٥٤٩ .

(٩) مذحج : تنسب إلى مالك بن أدد بن زيد بن يشحب بن زيد بن كهلان بن سبأ، ومذحج له كثير من الولد مثل جلد بن مذحج، ويحابر وهو مراد بن مذحج، وزيد وهو عنس بن مذحج، وسعد العشيرة بن مذحج وسمي سعد العشيرة لأنه كان يركب من ولده لصلبه في ثلاثمائة فارس، وأمهم كلهم سلمى بنت منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر. أبو محمد علي بن سعيد بن حزم . جمهرة أنساب العرب . تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة، د. ت) ص ٤٠٥ .

(١٠) هو معد بن عدنان وله من الأولاد أربعة هم : نزار بن معد، وقضاعة بن معد، وقنص بن معد، وإياد بن معد، فأما قضاعة فتيامنت إلى حمير بن سبأ، وسمي سبأ لأنه أول من سبى من العرب، وهو حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . ابن هشام، السيرة النبوية . تحقيق طه عبد الرؤوف سعد (دار الجيل، بيروت، ١٩٧٥م)، ج٢، ص ١٠ .

(١١) جواد علي، ج٢، ص ٥٤٨ .

٢ـ صلات نجران وتهامة والسراة بمكة المكرمة :

العلاقات النجرانية السروية التهامية المكية متنوعة وتشمل النواحي الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والدينية [١]، والتاريخ الثابت لهذه العلاقة يعد قديما ودليل ذلك أن قصي بن كلاب جد الرسول (صلى الله عليه وسلم) هو ثمرة المصاهرة بينهم، فقد أشار ابن هشام إلى أن مرة بن كعب تزوج امرأة من بارق هي أم يقظة البارقية، وتزوج كلاب بن مرة فاطمة بنت سعد من جعثمة الأزد[٢]، وهم حلفاء بني عبد مناف[٣]، فأنجبت له قصي بن كلاب وزهرة بن كلاب[٤]، واستمرت علاقات المصاهرة بين قبائل مكة والسراة قبل الإسلام وبعده، فتذكر بعض المصادر أن جعفر بن أبي طالب تزوج أسماء بنت عميس الخثعمية، ثم تزوجها بعده أبو بكر الصديق، ثم علي بن أبي طالب، وتزوج حمزة بن عبد المطلب أخت أسماء وهي سلمى بنت عميس الخثعمية[٥].

وكان الكثير من العادات الاجتماعية المشتركة بين مكة وأهل نجران وتهامة والسراة تنطلق من رحاب الدين ألا وهو الحمس[٦]، ومن العادات المشتركة إذا زوجوا امرأة منهم لغريب وولدت له فهو أحمس على دينهم[٧]، إلى جانب أنهم كانوا يختنون أولادهم، ويغتسلون من الجنابة، وقد تباعدوا في الزواج من الابنة وبنت الابنة والأخت وبنت الأخت[٨]، بالإضافة إلى أنهم كانوا يتزوجون بالصداق والشهود[٩].

والعلاقات الدينية بين قبائل مكة والنجرانيين والسرويين تدور على محورين هما: دين الحمس والأصنام، ويعتبر دين الحمس هو القاسم المشترك الأعظم في العلاقات

---

(١) ابن حبيب، المحبر (ط دار الآفاق بيروت)، ص١٧٨، ١٧٩ .

(٢) جعثمة الأزد : هو جعثمة بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأسد بن الغوث، وإنما سموه الجدرة، لأن عامر بن جعثمة تزوج بنت الحارث بن مضاض الجرهمي، وكانت جرهم أصحاب الكعبة فبنى للكعبة جداراً فسمي عامراً بذلك الجدار فقيل لولده الجدرة، ابن هشام، ج١، ص ١٠٥ .

(٣) عبد مناف : هم بني الديل بن بكر بن عبد مناف بن كنانة . ابن هشام، ج١، ص١٠٤، وذكر ابن الأثير أن أبا القشب الأزدي من أزد شنوءة بالسراة هو حليف بني عبد المطلب بن عبد مناف . ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة (ط دار العربي بيروت)، ج ٣، ص ٢٥٠ .

(٤) ابن هشام، ج١، ص ١٠٤ .

(٥) ابن حزم، ص ٣١٩ .

(٦) الحمس : هم الذين شددوا على أنفسهم في دينهم، فكانوا إذا نسكوا لم يسلأوا سمناً، ولم يطبخوا، ولم يدخروا لبناً، ولم يحولوا بين مرضعة ورضاعها حتى يعافه، ولا يبنون في حجهم شعرا، ولا وبرا ولا صوفا ولا قطنا، ولا يأكلون لحما، ولا يمسون دهنا، ولا يلبسون إلا جديدا، ولا يمسون المسجد بأقدامهم تعظيما لبقعته، ولا يدخلون البيوت من أبوابها، ولا يخرجون إلى عرفات ويقولون نحن أهل الله، ويلزمون مزدلفة حتى يقضوا نسكهم، ويطوفون بالصفا والمروة . انظر: أبو جعفر محمد بن حبيب : المحبر، تحقيق ايلزة ليختن شتيتر، منشورات دار الآفاق الجديدة ببيروت، ص ١٧٩، ١٨٠ .

(٧) أحمس على دينهم : أي يكون المولود أحمسياً على دينهم . جواد علي، ج ٢، ص ٣٦٢ .

(٨) مهران، ص ٤٢٥ .

(٩) الصداق : هو مهر المرأة أي ما يدفعه الرجل إلى أهل البنت عند عقد الزواج، والأصل في المهر دفعه للمرأة غير أن ولي أمرها هو الذي يأخذه لينفق منه على ما يشترى لتأخذه المرأة معها إلى بيت الزوجية، ويعد المهر علامة شرف وفريضة لازمة لصحة عقد الزواج، وكانوا لا يقرون زواجها إلا إذا كان بمهر. جواد علي، ج٥، ص٥٣٠، ٥٣١ .

الدينية بينهم، وقبائل السراة التي تشترك مع قريش في دين الحمس هي خثعم، وبني عامر بن صعصعة وكلهم حمس لتحمس إخوتهم بني ربيعة بن عامر[١]، والحارث بن كعب، وزبيد، وأزد شنوءة والغوث[٢]، والملاحظ أن الروايات التاريخية قد أغفلت ذكر قبيلة بجيلة مع أنها كانت في ريادة الأحمسين العرب[٣].

وترجع أسباب وجود دين الحمس إلى دواع متنوعة منها شعورهم بمكانة الكعبة عند العرب، مما جعلهم يرون لأنفسهم مكانة لا يرتقي إليها غيرهم من العرب، لأنها تتصل بكرامة البيت وحرمته لأنهم أولياؤه والقائمون بالأمر فيه، من سقاية الحجيج وإطعامهم وتوفير الأمن لهم[٤]، ومن ثم نشأ عندهم ما يسمى بنظام الحمس، ويقصدون به ابن الحرم الذي ينتمي إلى الكعبة[٥]، ومن ثم نادوا بين الناس "نحن بنو إبراهيم وأهل الحرم وولاة البيت وقاطنو مكة وساكنوها فليس لأحد من العرب مثل حقنا"، فهو امتياز لأهل الحرم وولاة البيت وقاطني مكة وساكنيها[٦].

هكذا شعر أبناء مكة المكرمة وسكان نجران والسروات أنهم يشكلون نسيجاً خاصاً غير القبائل الأخرى[٧]، وأن اتجاههم نحو الحمس يعكس نبض المجتمع تجاه القيمة المقدسة للبيت الحرام، وذلك يبين سبب مقاومة قبائل خثعم ناهس وشهران لمحاولة أبرهة هدم البيت الحرام[٨]، وكان من مظاهر تشدد الحمس الدينية هي ألا يعظم الأحمسي شيئاً من الحل، أي الأرض التي وراء الحرم كما يعظم الحرم[٩]، وكانوا يقولون نحن أهل الحرم،

---

(١) بنو ربيعة بن عامر: هم: بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن دخلوا معهم في ذلك وأنشد لعمرو بن معديكرب بما يفيد ذلك .

أعباس لو كنت شيارا جيادنا بتثليث ماناصبت بعدي الأحامسا

ابن هشام، ج١، ص ١٨٥ .

(٢) الغوث : ينسب إلى أخزم بن عمرو بن مازن بن الأسد، وذكر الأزرقي أن امرأة من جرم، وجرم بطن من بطون بجيلة، تزوجها أخزم وكانت عاقرا فنذرت إن ولدت غلاما أن تتصدق به على الكعبة عبدا لها يخدمها ويقوم عليها، فولدت له الغوث بن أخزم، فتصدقت به عليها، فكان يخدمها في الدهر الأول مع أخواله من جرهم، فولي الإجازة بالناس لمكانه من الكعبة، وقالت أمه حين أتمت نذرها :

إني جعلت رب من بَنِيَّه ربيطةً بمكة العليه

فباركنّ لي بها ألَيّه واجعله لي من صالح البريه

فولي الغوث بن أخزم الإجازة من عرفة وولده من بعده في زمن جرهم وخزاعة حتى انقرضوا .الأزرقي : أخبار مكة، دار الثقافة، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ص ١٨٦، ١٨٧ .

(٣) ابن حزم، ص ٣٨٨، وبجيلة : اسم امرأة، ويرجع نسبها إلى أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث أخي أسد بن الغوث . انظر: السمعاني . كتاب الأنساب (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م)، ج١، ص٢٤٨ .

(٤) مهران ، ص ٤٢٤ .

(٥) ابن هشام، ص ١٨٤، مهران، ص ٤٢٤ .

(٦) الطبري، تاريخ الأمم والملوك (القاهرة، طبعة دار المعارف)، ص١٨٨، الأزرقي، ج١، ص١٧٦، مهران، ص ٤٢٤ .

(٧) ابن هشام، ج١، ص٤٠، عبد الغني حمادة : مكة المكرمة، (سوريا، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م)، ص٥٣.

(٨) المصدر والمرجع نفسهما .

(٩) لذلك فقد تركوا الوقوف بعرفة لأنها خارج الحرم، بالرغم من إقرارهم بأنها من شعائر الحج، ويرون لسائر العرب أن يقفوا عليها ويفيضوا منها، مهران، ص٤٢٥ .

فليس لنا أن نخرج من الحرمة ولا نعظم غيرها كما نعظمها، وإن الرجل منهم إذا أحرم بالحج لا يدخل دارا، وإذا كانت له حاجة في بيته لا يدخله بل ينادي أهله ليخرجوا له حاجته، وبعضهم كانوا يتسلقون ظهور بيوتهم ثم ينزلون حجراتهم دون أن يمروا تحت عتبة الباب، وبعد الإحرام يحرمون على أنفسهم أشياء لم تكن العرب تحرمها [١].

ولم يكن مسلسل التشدد قاصراً عليهم بل فرضوه على غيرهم مثل العرب، الذين ألزموهم نفس النهج في أثناء شعائر الحج، فلا يطوفون بالبيت إلا في ثياب الحمس، فإن لم يجدوا طافوا بالبيت عراة[٢]، وذكرت بعض المصادر إلى أنه إذا طاف بثيابه التي جاء بها من الحل، ألقاها إذا فرغ من طوافه ولم يمسها هو ولا أحد غيره أبداً [٣]، ونتيجة لمكانتهم فقد حملوا ذلك على قبائل السراة، الأمر الذي جعلهم يقفون على عرفات، ويفيضون منها، ويطوفون بالبيت عراة، وكذلك النساء في نجران وتهامة والسراة أيضاً كن عراة مثل " ضباعة بنت عامر "[٤]. وكانت ذات جمال وهيئة فطلبت ثياباً عارية فلم تجد من يعيرها، ولم تجد بداً من أن تطوف عارية وأنشدت في ذلك شعراً [٥].

وكان الحجاج يؤدون فريضة الحج وفقاً لمناسك الحج مرددين الأهازيج والأناشيد في أثناء طوافهم، وتجد صدق ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[٦].

أما العلاقات العسكرية بين المكيين والسرويين والتهاميين والنجرانيين فتظهر واضحة في الحلف الذي عقد بين قريش والأحابيش عند الكعبة[٧]، وكان لهذا الحلف دوره في انتصار المشركين على المسلمين في غزوة أحد (سنة ٣هـ/٦٢٤م)، وذلك حينما منيت قريش بهزيمة من الرسول ﷺ وأصحابه في غزوة بدر (سنة ٢هـ/٦٢٣م)، وطلبت قريش من الأحابيش

---

(١) الأزرقي، ج١، ص١٧٧، مهران، ص ٤٢٥، ٤٢٦ .

(٢) ابن هشام، ج١، ص ١٨٦، مهران، ص ٤٢٦، جواد علي، ج١، ص ٣٦٧ .

(٣) ابن حبيب، المحبر، ص١٨٠، الأزرقي، ج١، ص ١٧٤، ١٧٥، مهران، ص ٤٢٦ .

(٤) ضباعة بنت عامر : هي ضباعة بنت عامر بن صعصعة ثم من بني سلمة بن قشير من السراة وذكر محمد بن حبيب أن رسول الله ﷺ قد خطبها، فذكرت له أنها كبرت فتركها، قيل إنها ماتت حزناً على ذلك، قال ابن حبيب إن كان صح هذا فما أحراها أن تكون أماً للمؤمنين وزوجاً لرسول رب العالمين إلا قولها، (اليوم يبدو بعضه أو كله) تكرمة من الله لنبيه، وعلماً منه بغيرته، والله أغير منه . ابن هشام، ج١، ص ١٨٧ .

(٥) ويذكر أن ضباعة بنت عامر قالت :

اليوم يبدو بعضُه أو كلُّه ... وما بدا منه فلا أُحِلُّه

ابن هشام، ج١، ص ١٨٧، الأزرقي، ج١، ص ١٧٨ .

(٦) سورة الأنفال، آية (٣٥) . وموقف الإسلام من الحمس أنه أنكر دعاوى الحمس المتشددة، وأنزل آيات قرآنية تنظم الحج والشعائر الدينية الأخرى في مكة المكرمة . ومما ذكر عن أبي هريرة ﷺ قوله : " بعثني أبو بكر الصديق في الحجة التي أمره عليها الرسول ﷺ في رهط يؤذنون في الناس بأن لا يحج بعد ذلك العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان " . انظر: ابن هشام، ج١، ص ١٨٨، جواد علي، ج، ص ٣٧١ .

(٧) ذكر جواد علي نص هذا الحلف وهو " بالله وحرمة البيت، والمقام، والركن والشهر الحرام على التعاقد والتساعد على من عاداهم من الناس ما طلعت الشمس من مشرقها إلى يوم القيامة " ، المفصل في تاريخ العرب، ج٤، ص ٣٨١ .

الدفاع عنهم بموجب الحلف المعقود عند الكعبة [١]، وخرجت الأحابيش في حوالي ثلاثة آلاف من كنانة ونجران وتهامة وثقيف[٢]، وساهموا في انتصار المشركين على المسلمين في معركة أحد[٣].

كما ازدهرت الصلات الاقتصادية بين أهل نجران وتهامة والسراة والمكيين وأشار إلى ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢﴾[٤]، وقد اشتهرت قريش بالتجارة وذاع صيتها بين أرجاء الجزيرة العربية، ونظم القرشيون رحلات تجارية عديدة من بينها رحلة الشتاء والصيف، وجعلوها على موسمين في إحداهما الشتاء وفيها تتجه القوافل إلى اليمن لشراء السلع، والأخرى في الصيف وفيه يتجهون إلى الشام لبيعها، وقد سلك تجار مكة في ذهابهم وإيابهم إلى اليمن عدة طرق منها المحاذي للساحل، وأخرى عبر سفوح السروات الشرقية [٥].

وكانت أرض السروات منذ القدم طريقاً للتبادل التجاري بين الشمال والجنوب [٦]، وتعد نجران ملتقى الطرق من الجنوب إلى الشمال، ومن أهم الطرق التي تربط بين مكة والسراة طريق بيشة، وهو الذي يعتبره العرب مفتاح اليمن من ناحية الشمال[٧]، وقد دفعت سيطرة السرويين على الطريق الممتدة بين مكة واليمن قريش إلى أن تعقد محالفات تجارية مع قبائل خثعم التي تعيش في أجزاء من الهضبة الممتدة من الطائف إلى نجران، وكانت هذه التحالفات ضرورية لأن القوافل التجارية كانت تتعرض لعمليات السطو من قبل بعض القبائل ولاسيما الصعاليك الذين يقطنون أماكن متفرقة من أرض السروات[٨]، والخلاصة أن العلاقات بين كل من قبائل مكة وتهامة والسروات ونجران لم تكن مقصورة على محالفات تجارية بل كانت تتجاوز كل ذلك إلى محالفات أمنية وسياسية .

ونلحظ أن معظم المصادر التاريخية تناولت موضوع محاولة هدم أبرهة للبيت الحرام من منظور ديني [٩]، لكن هناك اتجاهاً آخر تناول الموضوع من منظور اقتصادي فيذكر أن أبرهة استهدف الكعبة لدعم المسيحية في اليمن، وخلق منافس للكعبة في مكة التي صارت في ذلك الوقت مركز الحج والحياة الاقتصادية في الحجاز، لأن موقعها الجغرافي ساهم

---

(١) ابن كثير، (مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٨٠م)ج٤، ص٢٤، وراجع أيضاً ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، (بيروت، د . ت)، ج٣، ص٢٧، زين الدين عمر بن الوردي : تتمة المختصر في أخبار البشر، ج١، ص ١٨١ .

(٢) ثقيف : هو قسي بن منبه بن بكر بن هوازن، واشتهر باسم أبيهم فيقال لهم ثقيف . القلقشندي، ص ١٩٨.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (دار الفكر، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، ج٢، ص١٠٣، ابن خلدون، ج٢، ص٢٤.

(٤) سورة قريش : آية ١، ٢ .

(٥) جواد علي، ج٧، ص ٣٤٤ .

(٦) محمد يحيى الحداد، تاريخ اليمن السياسي . (الطبعة الثالثة ،القاهرة، ١٩٦٨م) ج١، ص ١٥٣ .

(٧) جواد علي، ج٧، ص ٣٤٤ .

(٨) أحمد الشريف، دور الحجاز في الحياة السياسية العامة، ص٢٣، يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص ٨٠ .

(٩) ابن هشام، ج١، ص ٤٠، السيد محمود الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب (دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت)، ج١، ٢٥١ .

في جمع القوافل التي ترد من اليمن متجهة إلى الشام، أو العكس، وفي القرن السادس الميلادي نجح القرشيون في احتكار التجارة في بلاد العرب، وبالتالي سيطروا على طرق القوافل التي تربط بين اليمن والشام من ناحية، وبالعراق من ناحية أخرى، وهذا ما جعل أبرهة يتطلع إلى تحويل الحجاج من مكة إلى صنعاء، ولو تحقق له ذلك لاستولى على الموارد المالية العظيمة التي صارت تتدفق على خزائن مكة [١].

٣.صلات نجران وتهامة والسراة مع الروم :

كانت اليمن مركز اهتمام الرومان لأسباب اقتصادية وسياسية ودينية [٢]، فمن الناحية الإقتصادية كانت مقاليد تجارة الشرق تحت سيطرة اليمن[٣]، وكانت روما حريصة على انتزاع هذه المكانة، ولا سيما بعد أن مارس اليمنيون نوعاً من الاستغلال التجاري [٤]، ومما يصور شدة غضب الرومان من ابتزاز اليمن لأموالهم ما كتبه أحد مؤرخي الرومان عن بلاد اليمن . قال : " إن بلادِ العرب سعيدة لأنها فياضة بمحصولات يستغذبها أهل الترف ويتأهبون في اقتنائها جهازاً لموتاهم " [٥]، هذا بالإضافة إلى القضاء على لصوص البحر الأحمر الذين كانوا يجتمعون بسواحل نجران وتهامة واليمن والسراة للهيمنة على البحر، وهذا ما دفع الرومان إلى وضع حراس على ظهر السفن التي تجتاز البحر الأحمر لحمايتها من أولئك اللصوص [٦]، وقد اتخذ الرومان هذا الموقف مدفوعين بأطماعهم في اليمن، لأنها كانت أغنى منطقة في الجزيرة العربية وأخصبها وأكثرها سكاناً، ولذلك أمر والي مصر أغسطس (٣١ق م- ١٤ ق م) بقيام حملة من أجل السيطرة على موارد اليمن وسارت الحملة عبر بلاد نجران وتهامة والسراة [٧].

وكان خط سير الحملة في بلا د نجران وتهامة والسراة، فقد تجمع الجيش في ميناء لويكة كومة[٨]،وبقيادة (إيليوس جاليوس) ، ثم تقدم نحو السراة فدخل أرضِ الملك الحارث بنجران[٩]، ثم ساروا في أرض وعرة قليلة الزرع والأشجار مدة ثلاثين يوماً، وتقدموا إلى

---

(١) محمد مصطفى زيادة . تاريخ العالم العربي وحضارته في العصور القديمة حتى العصر الإسلامي (دار النهضة، القاهرة، د. ت)، ص ١٦٠ .

(٢) جودة حسنين جودة : شبه الجزيرة العربية، (دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية) ١٩٨٨م) ص ٣٧ .

(٣) ذكر مصطفى زيادة أنه في الوقت الذي كانت روما في حاجة إلى منتجات اليمن وبخاصة البضائع التي احتكرها تجار اليمن، فعلى أيديهم كانت تنقل غلات حضرموت وظفار وواردات الهند إلى الشام وعن طريق الشام كانت تنقل الغلات إلى الروم مثل: المر واللبان والبخور . مصطفى زيادة، ص ١٥٩ .

(٤) المرجع نفسه، انظر أيضاً مهران، ص ٣٧٠.

(٥) مصطفى زيادة، ص ١٥٩ .

(٦) جواد علي، ج ٢، ص ٤٣ .

(٧) المرجع نفسه، ج٢، ص٤٣، غوستاف لوبون . حضارة العرب . ترجمة عادل زعيتر (مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، د .ت)، ص ٤٧ .

(٨) لويكة كومة : هو ميناء ينبع من ساحل الحجاز . جواد علي : المرجع السابق، ج٢، ص٤٦ .

(٩) الحارث : هو الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك بن أدد وكان له من الولد كعب، وربيعة وأمهما هند بنت النخع بن عمرو، وكانت ديارهم بنواحي نجران . القلقشندي، ص٤٩، ويرى جلازر أن نجران هي الأرض التي قصدها سترابون، وأن الحارث : هو الحارث بن كعب، وهو كناية عن جد هؤلاء الذين أصبحوا يسمون ببني

أرض مأهولة بالأعراب تدعى أرارين[١]، ثم سار جاليوس حتى بلغ مدينة نجران، ويبدو أن الموقف الإيجابي المتعاون من جهة الحارث بن كعب مع الحملة الرومانية يوضح عمق العلاقات الدينية الرومانية النجرانية، حيث كان بنو الحارث يدينون بالدين المسيحي، وكان من بينهم الأساقفة والعلماء مثل : أبي حارثة[٢]، الذي درس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم مما رفع من شأنه عند ملوك الروم فاحترموه وأكثروا عطاءهم له[٣] .

وتشير بعض الروايات إلى أن أباطرة الروم كانوا على اتصال دائم بنصارى نجران، وكانوا يساعدونهم ويمولونهم[٤]، وبعد فشل الحملة اختاروا السراة لتكون طريقاً للعودة، فمروا بنجران وأجزاء من السروات إلى ينبع، ثم أبحر من بقي حياً من الرومان إلى مصر[٥]. وكان انتشار النصرانية في نجران أثراً من آثار البعثات التبشيرية التي كان يرسلها الرومان إلى اليمن وتهامة والسراة مثل: نجران وما جاورها التي كانت أول من استقبل الديانة النصرانية حتى أصبحت البعثات التبشيرية سياسة عامة ولاسيما بعد دخول القيصر[٦] قسطنطين[٧] في النصرانية عام (٣١٣م) واتخاذها ديانة رسمية للدولة،ولم يأت العصر الجاهلي إلا ونجران معقل النصرانية ومنها انتشرت في أنحاء شتى من الجزيرة العربية[٨].

وتنوعت الروايات التاريخية حول سبب مجيء البعثات التبشيرية، فبعضها ترى أن البعثات التبشيرية جاءت عن طريق المراكب التجارية مثل (بعثة ثيوفيلوس) (سنة ٣٥٤م)[٩]،

الحارث بن كعب . جواد علي، ج٢، ص ٥٠ ويذكر أن بني الحارث بن كعب حي من اليمن من مذحج في نجران وهم أخوة همدان وموطنهم شمال صنعاء .حسين بن علي، اليمن الكبرى، ص ١٦٦.

(١) أرارين : موضع قبل نجران بمسيرة عشرين يوماً . جواد علي، ج٢، ص ٥٠ .

(٢) أبو حارثة : هو أبو حارثة بن علقمة بن بكر بن وائل، دخل دين النصرانية فعظمته الروم لما يعرفون من صلابته في دينهم، وكان مع ذلك يعرف أمر رسول الله ﷺ ولكن صده الشرف والجاه عن اتباع الحق . ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص ٥٦ .

(٣) ابن هشام، ج٢، ص ١٥٩، ابن كثير، البداية، ج٥، ص٥٦، غيثان بن علي بن جريس، نجران: دراسة تاريخية حضارية (ق١ - ق٤هـ /ق٧ - ق١٠م) (مطابع الحميضي، الرياض: ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) (الطبعة الثانية)، ج١، ص ٥٢ وما بعدها .

(٤) ذكر ابن هشام أن الروم كانوا يمولون نصارى نجران فيرسلون إليهم الهدايا والعطايا ويمدونهم بالعمال والأموال والخامات لبناء الكنائس في نجران . ابن هشام، ج٢، ص ١٥٩ .

(٥) جواد علي، ج٢، ص ٥١ .

(٦) القيصر : أول من سمي قيصر بعد أغسطس بست سنوات، وهذا الملك هو أول من سمي من ملوك الروم باسم قيصر، وهو الثاني من ملوكهم وتفسير قيصر (بقر)، أي شق عنه، وذلك أن أمه ماتت وهي حامل به فشق بطنها، فكان هذا الملك يفتخر في وقته بأن النساء لم تلده . المسعودي: مروج الذهب (ط بيروت) ج١، ص٣٠٩ .

(٧) قسطنطين : الملك قسطنطين ومن بعده قليطانس وقد ملك قليطانس لمدة عشر سنين . المسعودي، ج١، ص ٣١٥ .

(٨) جواد علي، ج٦، ص ٦١٢ . شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي (الطبعة الثامنة، دار المعارف القاهرة ١٩٧٧م) ص ٩٩ .

(٩) ثيوفيلوس: يذهب البعض أن بعثة " ثيوفيلوس " التبشيرية كانت لضمان حسن نية الأمراء اليمنيين إزاء تجار الروم، لكن تلك البعثة فشلت في تحقيق أهدافها بسبب نفوذ الفرس في اليمن، وأثر ذلك في التجارة مع الحبشة تأثيراً سيئاً، وهنا اضطر النجاشي إلى أن يقدم رفضه للملك الحميري، مما كان سبباً في نشوب الحرب بينهما، وتزعم الرواية أن النجاشي كان حتى تلك اللحظة مايزال على الوثنية، ومن ثم فقد عرض عليه أن يعتنق النصرانية إذا

حيث اتجه من سيلان إلى اليمن ونجح في إنشاء عدة كنائس، واحدة في عدن والأخرى في ظفار[١]، وجعل للأخيرة حق الإشراف على شؤون نصارى نجران، وقد نجح المبشرون في القرن الرابع الميلادي عندما كانوا يتنقلون في البحار مع التجارة لنشر النصرانية، وتمكنوا بمعاونة الحكومة البيزنطية من تأسيس كنائس عديدة على سواحل جزيرة العرب، بهدف نشر النصرانية كمدخل لفرض سلطانها على اليمن وتحويل كنوز قوافلها إليهم[٢]، ويذكر أن أهل نجران كانوا يعبدون شجرة، ثم دخلت النصرانية إليهم عن طريق رجل صالح اسمه (فيمون) [٣]، الذي تطهر وصلى ركعتين، ثم دعا الله على تلك الشجرة فهبت رياح عاتية اقتلعتها من الأرض فآمن به أهل نجران وأخذ يعلمهم دين عيسى بن مريم[٤]، ومعظم المصادر الأجنبية تربط بين فيمون وانتشار المسيحية في نجران[٥]، أما المصادر الإسلامية فتذكر أن قصة الساحر والراهب كانت سبب دخول أهل نجران في النصرانية[٦] .

انتصر على الحميريين وحين انتهت الحرب في صالحه اعتنق المسيحية، وأرسل إلى القيصر يطلب منه إرسال عدد من رجال الدين ليعلموه العقيدة الجديدة وقد تم له ما أراد . مهران، ص٣٧٢ .

(١) ظفار : هي عاصمة الحميريين في ذلك الوقت . عبد المجيد عابدين : بين الحبشة والعرب (ط دار الفكر العربي) د.ت ص ٥٠ .

(٢) جواد علي، ج٦، ص ٦٠٢، مصطفى زيادة، ص ١٥٩ .

(٣) فيمون : كان رجلاً صالحاً مجتهداً في العبادة مجاب الدعوة، سائحاً ينزل بالقرى، فإذا عرف في قرية خرج منها إلى أخرى، ولا يأكل إلا من كسب يده، وكان بناءً يعمل بالطين، ويعظم الله، وخرج إلى أرض فلاة من الأرض فيصلي بها حتى يمسي ففطن لشأنه رجل من أهل القرية بالشام اسمه صالح فأحبه وكان يتبعه حيث يذهب فلزمه صالح، وكان أهل القرية يفطنون لشأنه، وإذا جاء العبد ضر دعا له فشفي، وإذا دعى إلى منزل أحد لم يأته، وكان هناك رجل من أهل القرية له ولد ضرير فدعا فيمون الله له فشفي، فعرف فيمون أنه عرف فخرج من القرية وأتبعه صالح، فاختفطهما سيارة من العرب فخرجوا بهما حتى باعوهما في نجران، وكان أهل نجران يعبدون نخلة لهم عظيمة لها عيد كل سنة، فإذا جاء العيد علقوا عليها كل ثوب حسن .

(٤) ياقوت الحموي .معجم البلدان (دار صادر، بيروت، د .ت) ج ٥، ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧ .

(٥) جواد علي، ج٢، ص ٦٠٨

(٦) تشير المصادر الإسلامية إلى أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأصنام، وكان هناك ساحر يعيش في قرية بجوار نجران يعلم غلمان تلك القرية السحر، وهناك راهب في الطريق بين بلدة نجران والقرية التي بها الساحر، وأهل القرية يرسلون أولادهم إلى الساحر يعلمهم السحر، وابن الثامر بن عبد الله مع غلمان أهل نجران فإذا مر بخيمة الراهب أعجبه ما يرى من صلاته وعبادته فيجلس إليه ويسمع منه حتى أسلم، وجعل يسأله عن شرائع الإسلام حتى فقه فيها، فسأله عن الاسم الأعظم، فكتمه إياه وقال إنك لن تحمله أخشى ضعفك عنه، والثامر بن عبد الله يعتقد أن ابنه يختلف إلى الساحر كغيره من الغلمان فعندما رأى ذلك الغلام أن صاحبه قد ضن عنه بالاسم الأعظم عمد إلى قداح فجمعها ولم يبق اسماً يعلمه إلا كتب كل واحد في قدح، فلما أحصاها أوقد ناراً وجعل يقذف فيها قدحاً قدحاً حتى مر بالاسم الأعظم فقذف فيها بقدحه فوثب القدح حتى خرج منها ولم تضره النار شيئاً، فأتى صاحبه فأخبره أنه قد علم بالاسم الأعظم وهو كذا، فقال كيف علمته؟ فأخبره بما صنع، فقال: يا ابن أخي قد أصبته فأمسك على نفسك وما أظن أن تفعل، وجعل عبد الله بن الثامر إذا دخل نجران لم يلق أحد به ضر إلا قال له يا عبد الله أتوحد الله وتدخل في ديني فأدعو الله فيعافيك ؟ فيقول نعم فيدعو الله فيشفى حتى لم يبق أحد بنجران به ضر إلا أتاه فاتبعه على أمره ودعا له فعوفي، فرفع أمره إلى ملك نجران فأحضره وقال له أفسدت عليّ أهل قريتي وخالفت ديني ودين آبائي لأمثلن بك ! فقال: لا تقدر على ذلك فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل فيطرح من رأسه فيقع على الأرض ويقوم وليس به بأس، ويرسله إلى مياه نجران لا يقع فيها شيء إلا هلك فيلقى فيها فيخرج ليس به بأس، فلما غلبه قال عبد الله بن الثامر إنك لا تقدر على قتلي حتى توحد الله فتؤمن بما آمنت به فإنك إن فعلت ذلك سُلطت عليّ فتقتلني، قال فوحد الله ذلك الملك وشهد شهادته ثم ضربه بعصى فقتله وعندما قتل الغلام اجتمع أهل نجران على دين عبد الله بن الثامر وهو النصرانية " ياقوت، ج٥، ص ٢٦٧، ٢٦٨ .

والواضح أن الرومان حصدوا ثمار البعثات التبشيرية في نجران وتهامة والسراة، ويتمثل ذلك في أن النجرانيين مثل بني الحارث بن كعب الذين كانوا يحسنون استقبال تجار الروم كما أحسنوا من قبل استقبال الغزاة الرومان[١]، وهذا ما دفع ذا نواس لضرب نصارى نجران عندما وجد أن التجار المسيحيين من الروم وعملائهم الأحباش يسيطرون على تجارة البحر الأحمر، مما أصاب بلاد اليمن بالتدهور الاقتصادي[٢]، ولاسيما بعد أن سيطر الأحباش على سواحل السروات [٣]، وأصبح لهم ممثل للمصالح في نجران يسمى سبقل[٤]، وكل هذا دفع ذا نواس أن يتخذ من نصارى نجران موقفا عدائيا، وتلك ذريعة وجدها الرومان للقضاء على استقلال اليمن، ولكن دون تدخل مباشر، وإنما بتحريض الأحباش على غزوها، وذلك بعدما اتفقت مصالح الأحباش والرومان في السيطرة على مصالح العرب الجنوبية .

ولا نغفل عن حركة ذي نواس وأنها كانت ذات صبغة قومية، وذلك لأن نصارى نجران كانوا على ولاء مع الحبشة حامية النصرانية في نجران، بل كان يجمع الحبشة ونجران مذهب واحد هو مذهب اليعاقبة، واتخذت الحبشة من النصرانية وسيلة للتدخل في شؤون اليمن، فأراد ذو نواس وقومه محو هذا النفوذ الحبشي عن طريق ضرب نصارى نجران[٥]، وعندما قتل ذو نواس نصارى نجران استنجدوا بالحبشة فأنجدتهم [٦]، ويشير ياقوت إلى أن ذا نواس قد أحرق نصارى نجران بعد أن شق لهم الأخدود، وقتل منهم ما يقرب من عشرين ألفا[٧]، ونزل في ذلك قوله تعالى ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ﴾[٨]، وتذكر بعض المصادر العربية أن الدولة الرومانية علمت بالخبر من دوس ذي ثعلبان[٩]، بينما تشير بعض الروايات الحبشية إلى أن دوس ذي ثعلبان من اليهود المعادين للمسيحية وهناك قصة تخالف الروايات العربية. [١٠]

---

(١) جواد علي، ج٣، ص ٤٥٣ .

(٢) أحمد أمين : فجر الإسلام " يبحث في الحياة العقلية في صدر الإسلام إلى آخر الدولة الأموية " الطبعة الثانية عشر (الناشر مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٨م) ص ١٣

(٣) وتمكن الأحباش من احتلال ساحل الحجاز من ينبع في الشمال إلى السواحل الجنوبية الواقعة على البحر العربي، جواد علي، ج٣، ص ٤٥٣ .

(٤) سبقل : هو مبعوث نجاشي الحبشة لرعاية مصالح الحبشة في نجران، جواد علي، ص ٤٣٨ .

(٥) مهران، ص ٣٧٠، أحمد أمين، ص ٢٦ .

(٦) عبد المجيد عابدين، ص٤٨ وذكر بيومي مهران أن بعض المؤرخين ينفي أن يكون تعذيب ذي نواس لنصارى نجران هو السبب الحقيقي لغزو الحبشة لليمن لأن الأحباش أغاروا على اليمن قبل قصة التعذيب هذه بسنين، وأنهم انتصروا عليهم وتمكنوا من الاستيلاء على نجران بعد حصار دام سبعة شهور، ص ٣٧٠، ٣٧١ .

(٧) معجم، ج ٥، ص ٢٦٨ .

(٨) انظر : سورة البروج، الآيات (١-١١) .

(٩) ابن هشام، ج١، ص ٣٧ .

(١٠) موجز هذه الروايات أن قديساً اسمه أذفير أقام الكنيسة ورفع الصليب وبشر بالنصرانية في نجران، وذلك في أيام الملك شرحبيل ينكف ملك حمير، فاستاء من ذلك (ذو ثعلبان) (وذو فيفان) وأرسلا رجالهما إلى المدينة لهدم الكنيسة، وأنزل الصليب وأمر بالقبض على القديس ففعلوا وألقوا به في (غياهب السجن)، وفي أثناء إقامته فيه هدى قوم من السجناء إلى النصرانية بفعل المعجزات التي قام بها، فغضب الملك شرحبيل عليه وحاجه في دينه وفتح له أبواب اليهودية، فأبى اذفير، واحتال عليه الملك بالذهب والفضة فقال له أذفير: (الذهب والفضة فانيان إما كرستس ساكن السماء فباق وهنا لم يطق أحبار اليهود عليه صبرا، فحرضوا عليه الملك فأمر بإرساله إلى نجران لقتله، فلما بلغ المدينة قتله اليهود فمات شهيدا في سبيل الله . جواد علي، ج٦، ص ٦١٤، ٦١٥ .

٤.صلات نجران وتهامة والسراة مع الحبشة :

تعود علاقة التهاميين والسرويين والنجرانيين بالأحباش إلى عهود ملوك سبأ وريدان، وذلك عندما كان الأحباش يساعدون أهل السراة وبخاصة نجران ضد ملوك سبأ في اليمن[١]، وكانت العلاقات بين بلاد السراة والحبشة تدور على محورين أحدهما سياسي والآخر ديني، أما السياسي: فقد حاول الأحباش أن يسيطروا على نجران وأجزاء من السراة، وتوجت محاولتهم بالنجاح في عهد ملكهم عذبة[٢]، الذي قامت ثورة الحبشة على حكمه واستبدلوه بـ (ذي سكالس)، فانتهز أهل السراة ونجران فرصة انشغال الحكومة بهذه الثورة ونظموا صفوفهم، وهجموا على الأحباش وأخرجوهم من أرض نجران وما جاورها[٣] . وتشير بعض النقوش إلى حرب شنها (شمر يهرعش) على قبائل نجران وتهامة في صبيا وبيش وأجزاء من السراة، ثم امتدت المعركة إلى البحر الأحمر، وانتصر على هذه القبائل وأوقع بهم خسائر فادحة [٤]، ويذكر أن أولئك المهزومين كانوا من الأحباش الذين حكموا أجزاء من نجران وتهامة والسراة، ثم أطلق (شمريهرعش) على نفسه (لقب ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنات وأعرابها في التهائم)[٥]، ويدل هذا اللقب الجديد على أن هذا الملك السبائي سيطر على بعض النواحي التهامية والسروية، وهناك بعض النقوش التي تؤكد أن الأحباش كانوا يستوطنون بعض الأجزاء التهامية قبل حادثة الأخدود [٦]، وتشير بعض الروايات إلى ملك اليمن يوسف أسار[٧]، وهو المشهور في التاريخ باسم ذي نواس[٨]، حارب نصارى نجران، وشيعتهم من الأحباش ونجح في أن يلحق بهم خسائر فادحة[٩]، وبالرغم من انتصار ذي نواس على قبيلة مذحج التي تشمل نصارى نجران، إلا أن سلطانه لم يكن يشمل اليمن كلها، لأن الأحباش كانوا يشاركونه ذلك السلطان[١٠]، بعد نجاحهم في غزو اليمن سنة (٣٣٥م)، في أثناء فترة الضعف التي أصابت الديار اليمنية بعد وفاة شمريهرعش[١١] .

---

(١) جواد علي، ج١، ص ٤٣٨، ٤٣٩ .

(٢) جواد علي، ج٣، ص ٤٥٥ .

(٣) جواد علي، ج٣، ص ٤٥٥.

(٤) جواد علي، ج٣، ص ٢٨٣ .

(٥) جواد علي، ج٣، ص ٢٨٣ .

(٦) الأخدود، هو الحفر المستطيل في الأرض، كالخندق والجدول ونحوه وجمعه أخاديد، انظر: ابن هشام، ج١، ص ٣١، جواد علي، ج٣، ص ٤٤٩ .

(٧) يوسف أسار : الروم يسمونه دميانوس، وهو شديد التعصب لليهودية غزا أهل نجران ثم ظفر بهم فخدد لهم الأخاديد وعرض عليهم اليهودية فأبو إلا دينهم فحرقهم في النار وحرق الإنجيل وهدم بيعتهم ثم انصرف إلى اليمن . جورجي زيدان : مؤلفات جورجي زيدان الكاملة (١٩٨٢م)، مج (١١)، ص١٤٧ .

(٨) ذي نواس : هو زرعة بن زيد بن كعب بن زيد بن سهل بن عمر بن قيس بن حميد سبأ بن يعرب بن قحطان .ابن هشام، ج١، ص٣٠ .

(٩) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٠، جواد علي، ج٢، ص ٥٩٦ .

(١٠) يشير نقش حصن الغراب، الذي يرجع تاريخه إلى عام (٥٢٥م) إلى أن الأحباش استولوا على اليمن . جواد علي، ج٣، ص ٤٥٩، ٤٦٠ .

(١١) المرجع نفسه ،ج٣، ص٤٥٦ .

والديـن هو المحـور الثاني الذي ارتكزت عليه العلاقات بين الحبشـة والسـروات وبخاصـة عندما لعب الأحباش دورا كبيرا في انتشار المسيحية في نجران، وأقيم فيها مزار (كنيسة) عرفت بكعبة نجران[١]، وقد أنشـأ ثيوفيلوس كنيسة في (ظفار) وصار رئيس أساقفة ظفار مشرفا على الكنائس التي أنشئت في اليمن ومن ضمنها كنيسة نجران[٢]، وليس أدل على قوة العلاقات الدينية بين الحبشة ونجران وتهامة والسراة من أنه حينما تعرضت عقيدة نصارى نجران للعدوان كان موقف الحبشـة صارما من حكام اليمن خاصـة بعد غزو الأحباش لليمن نتيجة لحادث الأخدود الذي يعد من الأحداث الهامة في تاريخ العلاقات التهامية و السروية مع الحبشة[٣].

وقـد تعددت الروايات العربية وغـير العربية حول حادث الأخدود علـى الرغم من أنها اتفقت على أن القائم بهذا العمل هو ذو نواس والضـحايا هم نصـارى نجران، فالطبري أشار إلى أن دوس ذو ثعلبان اتجه إلى النجاشـي يشـكو له ما حل بنصارى نجران، فأبدى استعداده للثأر لهم[٤]، وقال : الرجـال عنـدي كثيرون، وكتب إلى الإمبراطور البيزنطي يخبره بما حل بنصـارى نجران، ويطلب منه معاونته بمده بالسـفن[٥]، بينما تذهب بعض المصادر- مثل ابن هشام - إلى أن رجلا من نجران هو دوس ذو ثعلبان تمكن من النجاة والوصـول إلى الإمبراطور البيزنطي ليشـكو له ما حل بنصارى نجـران، ويطلـب النجدة لحماية البقية الباقية من النصـارى هنـاك، إلا أن الإمبراطور اعتذر عن الإقدام بنفسـه لطول المسـافة بـين روما ونجـران، وعهد إلى النجاشـي ملك الحبشـة بالمهمة[٦]، ونلاحـظ أن اعتذار القيصـر عن الذهاب بنفسـه لم يكن رفضـا للنجدة بل اعتذر بـأن يقود الأمر بنفسـه لأن الحادث جلل، ويمس العقيدة النصـرانية التابعة للكنيسـة الشرقية ويجب بقاؤه في مقر النصرانية الرئيس حتى يحافظ على هيبتها، ويسوس أمر النصارى في بلاد الشرق بشكل عام .

ويذكـر الطبري بأن دوس ذو ثعلبان أسـرع بكتاب الإمبراطور إلى ملك الحبشـة[٧]،

---

(١) المرجع نفسه ،ج٣، ص٤٥٦، ٥٨٣ .

(٢) المرجع نفسه، ج٣، ص ٥٣٨ .

(٣) العلاقات السـروية التهامية النجرانية مع الحبشـة : هي قديمة ترجع إلى ما قبل الميلاد، فبين السواحل الإفريقية المقابلة لجزيرة العرب وبين السـواحل العربية اتصالاً وثيقاً وقديماً وتبادل بين السكان إذ هاجر العرب الجنوبيون إلى السـواحل الإفريقيـة وكونوا لهم مسـتوطنات هناك، وهاجـر الأفارقة إلى العربية الجنوبية وخاصـة إلى بلاد نجران وتهامة وما جاورها. جواد علي، ج٣، ص ٤٤٩ .

(٤) الطبري، تاريخ الطبري (دار المعارف، ط٣) ج١، ص ٨١ .

(٥) الطبري : المصـدر نفسـه، ج١، ص ٨١ ويدلل "نشـوان الحميري على خروج دوس ذو ثعلبان واستنجاده بالأحباش ضد ذي نواس، فقال:

فـدعـا ذو ثـعـلـبـان أحـابـشـا ... منـهـم بـقـاع الأرض غـير ضـواح
فـتـقـحـم الـبـحـر الـعـمـيـق بـنـفـسـه ... وسـلاحـه وجـواده الـسـبـاح

فاطمة مصطفى عامر : نجران في العصر الجاهلي، (دار الاعتصام القاهرة، ص١، ١٩٧٨م)، ص ٢٤.

(٦) ابن هشام، ج١، ص ٣١، جورجي زيدان، ص ١٤٧، عبد المجيد عابدين، ص ٤٩، وذكر مهران أن الروم قد اشتركوا بطريقة فعلية في غزو اليمن عن طريق إرسال أسطولهم إلى مصر محملاً بالأسلحة والمؤن إلى الثغور اليمنية، ولعل الإمبراطور "جستنيان الأول (٥١٨-٥٤٧) قد اتخذ هذه الخطوات نتيجة لأطماع الفرس التي زادت في بلاد العرب حتى أنهم استقروا في سواحل الخليج العربي كالبحرين وما جاورها . بيومي مهران، ص ٣٧١ .

(٧) الطبري، ج١، ص ٨١

الذي أمر أحد قواده المسمى أرياط أن يخرج معه وينصره فذهب أرياط في حوالي سبعين ألفاً من الأحباش، وعدد كبير من الفيلة بالإضافة إلى جيش أبرهة[١]، ولاشك أن النجدة السريعة من روما ترجع إلى أن الإمبراطور (جستنيان) يرمي من وراء ذلك إلى عدة أغراض، أولها ديني وهو جعل السيادة في اليمن ونجران للدين المسيحي، وذلك بعد أن تنصر قياصرة الروم وأخذوا يضعون نشر المسيحية هدفاً يسعون إلى تنفيذه ويستعينون به على نشر نفوذهم، والآخر هو توسيع دائرة تجارتهم في الشرق ليقضوا على تجارة منافسيهم الفرس، فضلاً عن أن الرومان حاولوا عن طريق الحبشة السيطرة على الطريق التجاري الذي تحمل فيه الحاصلات التي يحتاجون إليها من بلاد العرب والهند حتى تنخفض أسعار هذه الغلات بعد أن قلق الرومان من ابتزاز العرب لهم بعد فشل حملة غاليوس[٢]، ويمكن القول إن حادث الأخدود كان مجرد وسيلة تذرع بها الأحباش للتدخل في شؤون اليمن، وأن الهدف الحقيقي هو التعويض عما فقده الأحباش من مركزهم في سواحل نجران وتهامة والسراة[٣]، ورغبة الحبشة في السيطرة على اليمن لضمان توزيع البضائع الحبشية دون أن تتعرض لاعتداءات الحميريين كما حدث في الصراع بينهم وبين شمريهرعش ونجاحه في القضاء على الأحباش.[٤]

تؤكد بعض المصادر العربية أن أبرهة كان من النصارى الغيورين على المسيحية، وازدادت غيرته عندما عمل جاهداً على صرف العرب عن مقدساتهم في مكة المكرمة، وذلك ببناء القليس[٥]، ويشير ابن هشام إلى أن أبرهة كتب إلى النجاشي قائلاً " أني بنيت لك كنيسة لم يُبن مثلها ولست بمنته حتى أصرف إليها حج العرب "،[٦] وقد أثار كتاب أبرهة إلى النجاشي غضب رجل من النسأة [٧]، من بني كنانة[٨]، فدنس كنيسة أبرهة في

---

(١) ابن هشام، ج١، ص ٣١، الطبري، ج١، ص٨١، عبد المجيد عابدين، ص٤٩ . وأبرهة : هو الذي قاد حملة الأحباش إلى مكة المكرمة وقد نزلت فيه وجيشه سورة الفيل .

(٢) جورجي زيدان، مؤلفات جورجي زيدان، ص١٧٩، مهران، ص ٣٧١ . مصطفى زيادة، ص ١٥٩ .

(٣) كان الأحباش في اليمن في القرن الأول للميلاد والثاني أيضاً، ويظهر انهم كانوا قد استولوا على السواحل العربية، وهي سواحل قريبة من الساحل الإفريقي، ومن الممكن للسفن الوصول إليها وإنزال الجنود كما استولوا على الأرضين المسماة (Kinaidok olpitae) في جغرافية بطليموس ويراد بها سواحل الحجاز والسراة . جواد علي، ج٣، ص ٤٥٢، ٤٥٣ .

(٤) مهران، ص ٣٧٠، جواد علي، ج٣، ص ٤٥٥ .

(٥) الألوسي : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب (دار الكتب العلمية، بيروت . د. ت)، ج١، ٢٥١، عبد الغني حمادة : مكة المكرمة (حلب، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م)، ص ٥٣ .

(٦) القليس : هي الكنيسة التي أراد أبرهة أن يصرف حج العرب إليها، وسميت بهذا الاسم لارتفاع بنائها وعلوها، ومنه أخذت القلانس لأنها تعلو الرأس، وقد استدل أبرهة أهل اليمن في بنيان هذه الكنيسة، وكان ينقل إليها العديد من الرخام والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بلقيس، ونصب فيها صلباناً من الذهب والفضة ومنابر من العاج والأبنوس . الألوسي، ص٢٥١، .

(٧) النسأة : الذين كانوا ينسأون الشهور على العرب في الجاهلية فيحلون شهراً من الأشهر الحرم ويحرمون مكانه شهر من شهور الحل ليواطئوا عدة ما حرم الله ويؤخرون ذلك الشهر فيه أنزل الله تبارك وتعالى (إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً)، وكان أول من نسأ الشهور على العرب القلمس، وهو حذيفة بن عامر بن ثعلبة بن الحرث بن مالك بن كنانة بن خزيمة، وقيل له القلمس لجوده . الألوسي، ج١، ص ٢٥١ .

(٨) بنو كنانة : هو من بني عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر . ابن هشام، ج١، ص٧٣، الألوسي، ج١، ص ٢٥١ .

اليمن بسبب غيرته على البيت الحرام في مكة، وعندما بلغ أبرهة ذلك غضب وأقسم ليهدمن الكعبة، وبعد مراسلات بينه وبين نجاشي الحبشة في هذا الأمر تلقى العون منه في إعداد الجيش، وخرج بجيش جرار من اليمن، ومعه فيل اسمه محمود وفيلة أخرى[١]، ولكن ما إن سمع حلف خثعم[٢] مسيرة أبرهة لهدم البيت الحرام، حتى أخذ ذلك الحلف ينظم صفوفه من قبائل متنوعة في أرض السراة، شمال نجران مثل شهران، وناهس وغيرهم من السرو تحت قيادة نفيل بن حبيب الخثعمي[٣]، ودارت معركة في السروات بين الخثعميين وأبرهة فكان النصر من نصيب أبرهة[٤].

٥- صلات نجران وتهامة والسراة مع الفرس:

لقد تخلص اليمنيون من الاحتلال الحبشي، بمساعدة الفرس، وكانت النتيجة هي استبدال الاحتلال الروماني الحبشي بالاحتلال الفارسي، والذي يعنينا في هذا المحور هو موقف قبائل نجران وتهامة والسراة من هذا الاحتلال الفارسي، وتشير بعض المصادر التاريخية إلى أن قبائل السراة حافظت على تقاليدها العريقة في الحرية والاستقلال، ففي الجنوب كانت نجران مستقلة بشؤونها ويديرها سادتها وأشرافها، ولها نظام سياسي وإداري خاص تخضع له[٥]، ويكاد سلطان الفرس عليها لا يذكر، حيث كان حكم الفرس لليمن مقصوراً على الجنوب، أما قبائل السروات في الشمال فكانت تتمتع بحريتها، بل إن الحكم فيها ترك لأبناء الأسر الحاكمة القديمة مثل زعماء القسر، وخثعم[٦]، وبنو الديان[٧]، واستقلال السروات يعود لعوامل متنوعة، منها أنها بعيدة عن بلاد الفرس، فلم يكن في مقدور الملك الساساني أن يوطد نفوذه فيها[٨]، فضلاً عن ضعف إمبراطورية

---

(١) ابن هشام، ج١، ص ٤٠، الألوسي، ج١، ص٢٥٢، عبد الغني حمادة، ص ٥٣ .

(٢) حلف خثعم : ذكر جواد علي أن خثعماً ليست قبيلة إنما هي حلف تألف من قبائل متعددة تحالفت فيما بينها لمصالح مشتركة جمعت بينهم . المفصل في تاريخ العرب، ج٤، ص ٤٤٤، ٤٤٥ . انظر أيضاً، الأزرقي، ج١، ص ١٤٢ .

(٣) ابن هشام، ج١، ص ٤٠، الأزرقي، ج١، ص ١٤٢ . وشهران وناهس من بطون خثعم . انظر : الألوسي، ج١، ص ٢٥٢ .

(٤) خثعم : مشتق من الخثعمة وهي أن يجتمع الناس، فيذبحوا ويأكلوا ثم يجمعوا الدم ويغمسوا أيديهم فيه ويتعاقدوا ألا يتخاذلوا، انظر : ابن منظور، لسان العرب، (بيروت، د. ت) ج١٢، ص ١٦٦، انظر أيضا : ابن هشام، ج١، ص ٤٦ .

(٥) كان أمر نجران يؤول إلى ثلاثة رجال من أشرافهم هما العاقب والسيد والأسقف، وكان العاقب يتولى الأمور الداخلية، والسيد يتولى الأمور الخارجية حيث يتولى أمور العلاقات بينهم وبين القبائل الأخرى . أحمد أمين: فجر الإسلام، (الطبعة الثانية عشر ١٩٧٨م) ص٢٦، والأسقف يختص بالأمور الدينية . ابن كثير، ج٥، ص٥٦، فاطمة مصطفى عامر، ص٢٦، ابن جريس، نجران، ج١، ص٥٢ وما بعدها .

(٦) جواد علي، ج٢، ص ٢٥٩ . وزعماء القسر هم بنو القسر بن عبقر بن أنمار، ومنهم جرير بن عبد الله البجلي . السمعاني، الأنساب، ج١، ص ٢٨٤ . و من أهم زعماء خثعم شهاب الخثعمي، ومخارق بن شهاب الخثعمي . وهؤلاء الأعلام ذكرهم مؤلف مجهول في كتابه (فتوح اليمن)، وهذا الكتاب مليء بالمبالغات عن خثعم قبل الإسلام، ولا ننكر أن قبيلة خثعم من القبائل العريقة، لكنها لم تكن مملكة كما يقول مؤلف هذا الكتاب . انظر مؤلف مجهول، فتوح اليمن (القاهرة، د. ت)، ص٦ وما بعدها .

(٧) زعماء بني الديان : هم بطن من بني الحارث بن كعب من قحطان، وهم : بنو الديان واسمه ابن قطن بن زياد ابن الحارث بن مالك بن كعب، وكان لهم الملك على العرب، وانتهى ملكهم قبل البعثة إلى يزيد بن عبد المدان . القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص٥٥ .

(٨) انظر : صالح أحمد العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ص٦٦ .

الفرس واضطرابها [١]،وعلى الرغم من ذلك صارت اليمن منذ سنة (٥٧٥م) إلى (٥٩٥م) حتى الفتح الإسلامي مقاطعة تابعة للفرس[٢].

وتبعد نجران عن العاصمة صنعاء بتسع مراحل [٣]، بينما تقع خثعم والسروات في شمال اليمن[٤] ، وبالرغم من أهمية مخلاف نجران في شؤون السياسة والحكم[٥]، إلا أن بلاد خثعم وما جاورها لا تقل أهمية عن دور نجران نظراً لما تملكه من إمكانات، ويشير صاحب فتوح اليمن في هذا الصدد إلى أن خثعماً كانت تملك جيشاً يزيد عدده على خمسين ألف فارس فضلاً عن وجود الأسلحة كالمنجنيق [٦]، وكانت مدينة جرش من مواطن الخثعميين وتعتبر من أهم المراكز الصناعية لصناعة المنجنيق، ليس في السروات فحسب بل في الجزيرة العربية كلها.[٧]

وموقف قبائل السروات مثل : خثعم ونجران هو الانكار للدعوى الإسلامية، ويرجع سبب رفض نجران للإسلام إلى عقيدتهم الراسخة، حيث كان لهم تاريخ ديني معروف، فهي من أهم مواطن النصرانية في الجزيرة العربية، وتشتهر في التاريخ بحادث الأخدود الذي خلده القرآن الكريم[٨] . أما خثعم وغيرها من بلاد السراة فيرجع موقفهم المعارض من الإسلام عند ظهوره إلى دينهم الوثني حيث كان لهم العديد من الأوثان [٩] . ولاشك أن موقف أهالي نجران وتهامة والسراة المعادي للإسلام في أثناء مجيئه كان طبيعياً من أناس مخلصين لعقائدهم الوثنية التي ورثوها عن آبائهم، واعتقادهم أن آباءهم وأجدادهم لم يورثوهم إلا خيراً، ولهذا كان موقفهم سلبياً ومعادياً للإسلام.

٦ ـ صلات نجران وتهامة والسراة مع بعض الأحلاف أو القبائل في الجزيرة العربية :

انصهرت علاقات قبائل نجران وتهامة والسراة الداخلية والخارجية في صورة أحلاف،

---

(١) عصام عبد الرؤوف الفقي، اليمن في ظل الإسلام، (الطبعة الأولى، الفكر العربي، ١٩٨٢م)، ص٢٦.

(٢) جواد علي، ج٦، ص ٦٥٩ .

(٣) تقع نجران في الشرق الشمالي من صعدة بينها وبين نجران مسافة يومان . الهمداني : الإكليل، (القاهرة، د.ت)، ج١، ص ١٤ .

(٤) مازلت أقول إن كتاب: فتوح اليمن، لمؤلف مجهول يشتمل على تفصيلات كثيرة عن بلاد السراة قبل الإسلام، وبخاصة ما سماه (مملكة خثعم) وبعد البحث في مصادر أخرى عديدة، فلم أجد ما ذكره هذا المؤلف، وربما تكون غير حقيقية، ونأمل أن نجد مصادر أخرى تؤكد أو تنفي ما أشار إليه هذا الكتاب.

(٥) فاطمة مصطفى عامر، ص٨ .

(٦) مؤلف مجهول، ص ٦ .

(٧) للمزيد عن تاريخ مدينة أو مخلاف جرش قبل الإسلام وبعده، انظر: أحمد البلاذري، فتوح البلدان (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ج١، ص ٣٣٧-٣٣٨، شمس الدين أبو عبد الله بن القيم. زاد المعاد في هدي خير العباد (مؤسسة الرسالة، بيروت) ١٤١٠هـ /١٩٩٠م)، ج٣، ص ٦٢٠-٦٢١، محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة (دار النفائس، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ص ٢٨٩- ٢٩٠ .

(٨) أنظر سورة الفيل، وانظر أيضاً ابن جريس، نجران، ج١، ص ٥٢وما بعدها .

(٩) دراسة التاريخ الديني عند أهل نجران وتهامة والسراة قبل الإسلام وأثناء ظهوره موضوع جديد ويستحق أن يكون موضوعاً لبحث علمي أكاديمي .

والحلف[١] في اصطلاح علماء اللغة هو: العهد بين القوم على التعاضد والتساعد والاتفاق على العمل يداً واحدة[٢]، وفي كلمة الحلف دلالة على معاني الإيمان، لأن من عاداتهم القسم على الوفاء به[٣]، والحانث باليمين ينظر إليه بأشد أنواع الازدراء، وقد أمر الإسلام الوفاء بالعهد[٤].

ويمكن تقسيم الأحلاف في بلاد نجران وتهامة والسراة إلى أحلاف داخلية وخارجية، والأحلاف الداخلية، هي: أحلاف بين بعض العشائر السروية والنجرانية والتهامية، والغاية من الأحلاف الداخلية ترتكز على دوافع أمنية لأن أكثرهم بدو، وحاجتهم إلى الأحلاف أكثر من الحضر، لأن الغزو في البادية، يمثل ضرورة البقاء نظراً لفقر البادية وشحها وانبساط أرضها، وعدم وجود حواجز طبيعية تمنع عملية الغزو، أو تحمي القبائل من الإغارة عليها، ولهذا اضطرت القبائل إلى إيجاد حماية طبيعية لها من الأحلاف بقصد حماية المال والنفس وكبح المعتدين.[٥]

والأحلاف الداخلية عقدت في الغالب لمصالح مشتركة بينهم، وعلى سبيل المثال حلف خثعم[٦]، ويذهب المستشرق (ليفي دي لافيد) إلى أن خثعماً ليست قبيلة إنما هي حلف تألف من قبائل متعددة تحالفت لمصالح مشتركة جمعت بينهم، وقد ساهم الحلف بدور كبير في معارك أيام العرب، مثل يوم فيف الريح[٧]، ويعتبر حلف خثعم هو الجامع الذي انصهرت فيه بعض عشائر السراة مثل ربيعة وخثعم، وذكر البكري تيامن قبائل من ربيعة إلى بلاد اليمن فحالفت أهله، وبقوا على أنسابهم مثل أكلب بن ربيعة بن نزار[٨]، التي

---

(١) الحلف : هو القسم، وقيل الحلف اليمين وأصلها العقد بالعزم والنية، وقال ابن الأثير : أصل الحلف المعاقدة والمعاهدة على التساعد والإتفاق فما كان منه في الجاهلية على الفتن والقتال بين القبائل والغارات، فذلك الذي ورد النهي عنه في الإسلام بقوله ﷺ " لا حلف في الإسلام، وما كان في الجاهلية على نصرة المظلوم وصلة الأرحام فذلك الذي قال فيه الرسول ﷺ " أيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة " يريد من المعاقدة على الخير ونصرة الحق) انظر : ابن منظور لسان العرب، ط دار صادر بيروت، ج٩، ص٥٣.

(٢) ابن منظور، المصدر نفسه، ج٩، ص ٥٣ .

(٣) جواد علي، ج٤، ص ٣٧١ .

(٤) جواد علي، المرجع نفسه ، ج٤، ص ٣٧١ .

(٥) المرجع نفسه، ج٤، ص ٣٢٧ .

(٦) ذكر ابن منظور أن خثعماً اسم جمل سمي به خثعم لأنهم نحروا بعيراً وتلطخوا بدمه وتحالفوا، و" الخثعمة " هي أن يجتمع الناس فيذبحوا ويأكلوا ثم يجمعوا الدم ويغمسوا أيديهم فيه ويتعاقدوا أن لا يتخاذلوا، ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص١٦٦.

(٧) يوم فيف الريح : حدث بين عامر بن صعصعة ومذحج وفيه أغارت قبائل مذحج وخثعم ومراد وزبيد ورئيسهم ذو الغصة بن الحصين بن يزيد الحارثي علي بني عامر وهم منتجعون في فيف الريح بأعالي نجد، وقد فقئت عين رئيس بني عامر (ملاعب الأسنة) عامر بن الطفيل، بطعنة من مسهر بن يزيد الحارثي فقال عامر:

لعمري وما عمري عليّ بهين لقد شان وجه الحُرّ طعنة مسهر

وكان يوم فيف الريح عند مبعث الرسول ﷺ، وأدرك مسهر بن يزيد الإسلام فأسلم، وفي ذلك اليوم يقول عامر أيضاً :

قد علم المزنوق أني أكر على جمعهم كر المنيح المشهر

والمزنوق : اسم فرس عامر بن الطفيل، يوم فيف الريح : انظر: ابن منظور لسان العرب، ص ٢٩٢ . البكري: معجم ما استعجم (عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م) ج١، ص ٨٣ .

(٨) أكلب بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، انظر: ابن حزام، جمهرة أنساب العرب ص ٢٩٢، البكري: معجم استعجم، ص٨٣ .

نزلت ناحية تثليث فجاورت خثعم وحالفوهم وصاروا يداً واحدة معهم على من سواهم،[١] ونفي أبناء خثعم نسب أكلب إليها،[٢] وهناك من شعراء أكلب من قال شعراً في ذلك ،[٣] وأشار البكري إلى تيامن قبيلة من عنز [٤] وصاروا حلفاء لخثعم .[٥]

ولم تكن الغاية من الأحلاف أمنية فقط بل هي سياسية أيضاً ونستدل على ذلك أنه قامت مشيخات وزعامات سياسية عديدة في السروات على أساس الأحلاف مثل: قبائل خثعم،[٦] التي قامت على أساس حلف خثعم ،[٧] وتعتبر الحروب من الأسباب الأساسية لعملية الأحلاف، وليس أدل على ذلك من الحروب التي اشتعلت بين جرم،[٨] ونهد [٩]، فاقتتلوا وتفرقوا ودخلوا في أحلاف مع قبائل كبرى بهدف الحماية لها، ويشير البكري إلى أن قبيلة نهد ابن زيد لحقت ببني الحارث بن كعب فحالفوهم، ولحقت قبيلة جرم ببني زبيد فحالفوهم، ولكن ما لبث هذا الحلف أن تحطم على إثر موقف قبيلة جرم المتخاذل من الحرب بين زُبيد وبني الحارث،[١٠] وتشير بعض المصادر إلى أنه على أثر عدة حروب نفي جواب[١١] قبيلة جعفر بن كلاب.[١٢]، ولحقوا ببني الحارث بن كعب بنجران فحالفوهم، ولكن هذه الأحلاف لم تستمر طويلاً إذ سرعان ما انتهت عندما تم الصلح

---

(١) ويذكر أن أكلب دخل بنوه في خثعم، وهم رهط أنس بن مدرك الخثعمي، وعائشة بن ربيعة، انظر: ابن حزم، ص ٢٩٢، البكري، المصدر السابق، ج١، ص ٨٣ .

(٢) ذكر البكري أن رجلاً من قبيلة خثعم من بطن شهران، ينفي أكلب بن ربيعة، فقال:

ما أكلب منا ولا نحن منهم ... وماخثعم يوم الفجار وأكلب
قبيلة سوء من ربيعة أصلها ... وليس لها عم لدينا ولا أب

البكري، ج١، ص ٨٣ .

(٣) ذكر البكري شعراً لأحد شعراء أكلب فقال :

إني من القوم الذين نسبتني ... إليهم كريم الجد والعم والأب
فلو كنت ذا علم بهم ما نفيتني ... إليهم ترى أني بذلك أثلب
فإلا يكن عماي حلفا وناهسا ... فإني امرؤ عماي بكر وتغلب

(٤) عنز : هو عبد الله بن وائل بن قاسط، وإنما سمي عنزاً، لأن رأسه يشبه رأس العنز وكان محدود الرأس. انظر: البكري، ج١، ص ٨٣ .

(٥) البكري، المصدر نفسه، ج١، ص ٨٣ .

(٦) مؤلف مجهول، فتوح اليمن، ص ٥ .

(٧) خثعم : تنسب إلى أنمار من أراش من القحطانية، القلقشندي : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب . ص ٢٤٣ .

(٨) جرم : بطن من بجيلة . القلقشندي، المصدر نفسه، ص ٢٠٩، ويقال هي جرم بن ربان وهي بطن من بجيلة من أنمار بن أراش من القحطانية . عمر رضا كحالة . معجم القبائل العربية القديمة والحديثة (ط مؤسسة الرسالة بيروت، (د.ت) . ج١، ص ١٨٢ .

(٩) نهد : بطن من قضاعة القحطانية وهم بنو نهد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة . القلقشندي، المصدر السابق ص ٤٣٣ .

(١٠) البكري، المصدر السابق، ج١، ص ٤٢ .

(١١) جواب : هو لقب واسمه مالك بن عوف بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب وهو الذي نفى جعفر بن كلاب، ابن حزم، الجمهرة، ص ٢٨٤ .

(١٢) كان لجعفر بن كلاب كثير من الأولاد مثل خالد الإصبع، وربيعة، والأحوص وغيرهم . ابن حزم، ص ٢٨٤ .

بينهما وبين قبائلهم الأصلية، كما حدث مع بني جعفر بن كلاب عندما رجعوا إلى جواب قومهم واصطلحوا ،[١] وأيضاً عندما رجعت قبيلة جرم إلى نهد واصطلحوا على أثر موقف قبيلة جرم من الحرب التي وقعت بين زُبيد وبني الحارث.[٢]

ومن أحلاف نجران والسروات حلف الرباب،[٣] الذي عقد لمصالح مشتركة بينهم في ناحية تثليث مقر بني عقيل ،[٤] وقد تنوعت الآراء حول تسمية حلف الرباب، وتذكر بعض الروايات إلى أن حلف الرباب عقد بين عدد من القبائل، وقد عرفوا بالمتحالفين الذين قاموا بإدخال أيديهم في (رب) وتحالفوا عليه وغمسوا أيديهم فيه[٥]، وقيل لأنهم اجتمعوا كاجتماع الربابة، ثم سار بين الناس كأنهم قبيلة واحدة وترجع إلى نسب واحد مثل قبيلة خثعم.[٦]

أما الأحلاف الخارجية فهي أحلاف بين قبائل نجران وتهامة والسراة وغيرها من القبائل في مختلف أجزاء شبه الجزيرة العربية، وتعتبر قريش من أهم القبائل التي عقدت محالفات مع قبائل الجزيرة العربية، وظاهرة التحالفات بين قريش والسرويين والتهاميين قديمة جدا، ولم تكن هذه الصلات مقصورة على أسس تجارية أو أمنية فقط بل كانت تمتد إلى المصاهرة بينهم،[٧] ويذكر ابن هشام إلى أن مرة بن كعب تزوج امرأة من بارق هي أم يقظة البارقية،[٨] وتزوج كلاب بن مرة فاطمة بنت سعد من جعثمة الأزد ،[٩] وهم حلفاء بني عبد مناف، فأنجبت له قصي بن كلاب وزهرة بنت كلاب.[١٠]

---

(١) ابن حزم، المصدر نفسه، ص ٢٨٤ .

(٢) ذكر البكري أنه وقعت حرب بين بني الحارث بن كعب تحت قيادة عبد الله بن عبد المدان وقبيلة زُبيد تحت قياد عمرو بن معديكرب، فقال عمرو في ذلك، وهو يذكر جرم وفرارها من زبيد:

لحا الله جرم كلما ذر شارق وجوه كلاب هارشت فأزبأرت

للمزيد انظر: البكري، ج١، ص٤١، ٤٢ .

(٣) الرباب: هم من القبائل المختلطة الأنساب وهم بنو تميم وبنو عدي وبنو ثور وبنو عكل بن عوف بن عبد مناة بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . ابن حزم، ص ٤٧٩، ٤٨٠ .

(٤) انظر البكري، ج١، ص ٣٠٤ .

(٥) المتحالفون : هم تيم وعدي وعكل ومزينة وجهينة : ابن حزم، ص ٤٨٠، أنظر أيضا جواد علي، ج٤، ص٣٧٨.

(٦) جواد علي، ج٤، ص ٣٧٨ .

(٧) ابن هشام، المصدر السابق، ج١، ص ١٠٤ . الدارس لتاريخ قريش وأهل نجران وتهامة والسراة قبل الإسلام يجد أن صلاتهم بعضهم ببعض قوية، فهناك بعض نساء السراة تزوجن من بعض القرشيين والعكس صحيح . انظر: الطبري، ج٢، ص ٤٢٦، ابن حزم، ص ٣٨٩، ٣٩١، مصعب الزبيري . نسب قريش، تحقيق ليفي بروفنسال (دار المعارف، القاهرة، د.ت) ص ١٣١، ١٧١.

(٨) المصدر نفسه، ج١، ص ١٠٤ .

(٩) جعثمة الأزد : هو جعثمة بن يشكر بن صعب بن دهمان بن نصر بن زهران بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن زهران بن الحارث بن مضاض الجرهمي، وكانت جرهم أصحاب الكعبة فبنى للكعبة جداراً فسمي عامراً بذلك الجدار فقيل لولده الجدرة، انظر ابن هشام، ج١، ص ١٠٥ .جعثمة الأزد كانوا حلفاء بني الدبل بن بكر بن عبد المناف بن كنانة، ابن هشام، ج١، ص ١٠٤، وذكر ابن الأثير أن القشب الأزدي من أزد شنوءة كان حليف بني عبد المطلب بن مناف، ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت)، ج٣، ص ٢٥٠ .

(١٠) انظر: ابن هشام، ج١، ص ٤٦ ، ١٠٤ .

ومـن أهم الأحلاف التي عقدت لأغراض أمنية الحلف الذي عقد بين قريش وخثعم، ويذكـر ابن هشـام أن هذا الحلف كان لـه دور كبير في مواجهة حملـة أبرهة على مكة[١]، ولاسـيما قبيلتي شـهران[٢]، وناهس، ويشـير ابن كثـير عندما منيت قريش بهزيمة من الرسـول ﷺ وأصـحابه في غـزوة بدر سـنة (٢هـ/٦٢٣م)، أخذت تتصـل بحلفائها من بـلاد نجران وتهامة والسـراة مثـل: كنانة وقبائل نجـران وتهامة والأحابيش وثقيف[٣]، ونتيجة ذلك أن شـاركت بعض قبائل نجران وتهامة بثلاثة آلاف، معظمهم من الأحابيش وحلفائهم،[٤] ومن ثم انتصـروا على المسلمين في معركة أحد سنة (٣هـ/٦٢٤م)[٥]، ومن الملاحظ أن مسـاندة الأحابيش وحلفائهم من الديـار التهامية لقريش في واقعة أحد، كان بموجب حلف عقد بين مكة والأحابيش عند الكعبة[٦]، مع أنه كان يوجد حلف دفاعي دائم بـين قريش والأحابيش، إلا أن القرشـيين وتجاراتهم لم تسـلم من غارات الصـعاليك في السـروات الممتـدة من نجـران إلى الطائف، وذلك ممـا دفع قريشـاً إلى تكوين حلف مع الأحابيش للمحافظة على أمنها في مكة وأسواقها وأمن قوافلها المتجهة إلى اليمن[٧].

ثالثاً: صور من تاريخ نجران وتهامة والسراة في عصر الرسول ﷺ:

١ـ تمهيد:

لن نفصـل الحديث في تاريخ الدعوة الإسلامية السرية في مكة المكرمة، فكتب السير والمصـادر التاريخية المبكرة أسـهبت الحديث في هذا الباب[٨]، ولكن مع تطور الدعوة في

(١) انظر، الطبري، ج٣، ص ٤٢٦، ابن حزم، ص ٣٨٩، ٣٩١ .

(٢) شـهران : بطن من خثعم، القحطانية، وهم بنو شـهران بن حلف بن خثعم منهم أبو قحافة بن عامر، القلقشندي، نهاية الأرب، ص ٣٠٨ . للمزيد انظر:ابن هشام، ج١، ص ٤٦ .

(٣) ثقيف : بطن من هوازن من العدنانية، واشـتهروا باسـم أبيهم، فيقال لهم ثقيف، واسـمه قسي بن منبه بن بكر بن هوازن، القلقشندي، المصدر السابق، ص١٩٨ .

(٤) ابـن الأثـير : الكامل في التاريخ، ج٢، ص١٠٤، وابن كثير: المصـدر السـابق، ج٤، ص١٠، وابـن خلدون، تاريخ ابن خلـدون (مؤسسـة الأعلمي للمطبوعـات، بيروت . د. ت)، ج٣، صـ٢٤. محمد جمال الدين سـرور : قيام الدولة العربية الإسلامية (الطبعة الرابعة دار الفكر العربي القاهرة ١٩٦٤م)، ص٨٧، ٨٨ .

(٥) المصادر والمراجع نفسها .

(٦) أشار جواد علي إلى نص الحلف بين قريش والأحابيش وهو (بالله وحرمة البيت، والمقام والركن والشهر الحرام، على التعاقد والتسـاعد على من عاداهم من الناس ما طلعت شـمس من مشـرقها إلى يوم القيامة) وكانت الأحلاف تدون لتوكيدها وتثبيتها، وتحفظ عند المتعاقدين، وقد تودع في المعابد . المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٤، ص ٣٨٢ .

(٧) يذكـر أن الحلـف يفرض على الأطراف المتحالفة حقوقـاً وواجبات حيث يكون بين الأطراف المتحالفة سـلام وود، ويسـتطيع أبنـاء القبائل المتحالفـة المرور بمواطن هذه القبائل غـير خائفين وتمر قوافلهم بأمـان وعلى أبناء هذه القبائل حماية من يجتاز بأرضهم، وتقديم المساعدات له . جواد علي، ج٤، ص ٣٨٢ . والصلات التجارية بين أهل مكة وبلاد نجران وتهامة والسـراة قبل الإسـلام، وكذلك صـعاليك العرب في بلاد السراة وغاراتهم على التجارة والتجارات من الموضوعات الجديدة والجديرة بالبحث والدراسة في هيئة أبحاث أو رسائل علمية أكاديمية .

(٨) للمزيد من التفصيلات عن مراحل تاريخ الدعوة الإسلامية، منذ مولد النبي ﷺ إلى فترة ظهوره في مكة، ودعوته السـرية فيها . انظر : القرآن الكريم، وبعض التفاسـير، وكتب السـنن، أو السـير مثل: ابن هشام، وابن كثير، وابن القيم الجوزية وغيرهم . كما يوجد هناك مئات الدراسات الحديثة التي عالجت تلك الحقبة وفصلت الحديث فيها.

المرحلة المكية، ازدادت مظاهر العنف والتعذيب من القرشيين الكفار للمستضعفين من المسلمين، ولاسيما العبيد الذين كانوا من أبناء البلاد المجاورة لمكة، فلا عصبية لهم تحميهم، وقد شمل التعذيب جميع المستضعفين من أتباع الرسول ﷺ سواءً كانوا في نجران وتهامة والسراة أو غيرها من المناطق المحيطة بمكة[١]، وتنوعت صور تعذيب أولئك الضعفاء فكانوا يعذبونهم بالضرب والجوع والعطش ليفتنوهم عن دينهم[٢]، ويظهر ذلك واضحاً في تعذيب بلال بن رباح[٣]. وهو من مولدي جبال السراة، وكان عبداً لأمية بن خلف الجمحي، فكان يخرجه وقت الظهيرة في صحراء مكة، ثم يضع الصخرة العظيمة على صدره، ويقول له، لاتزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى[٤]، ولكنه كان يواجه كل هذا العذاب بقوله (أحد أحد)[٥]، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على صبر وجلد أبناء السروات التي ولد فيها بلال.

ويشير أحد المصادر المبكرة إلى أن بلالاً كان أول من أذن على ظهر الكعبة[٦]، ولم يكن صبر بلال وغيره من مولدي السروات على تسلط المشركين إلا من أثر البيئة، التي تتميز بصعوبة التضاريس ووعورة المسالك، وكثرة الجبال، لذلك فقد عود أبناء السراة أنفسهم على الصبر من أجل التكيف مع هذه البيئة، بالإضافة إلى أن أرض السراة، الممتدة من الطائف إلى نجران كانت أيضاً موطناً للأديان السماوية من يهودية ومسيحية[٧]، وغير سماوية مثل المجوسية، فضلاً عن دور العبادة المتنوعة مثل كعبة نجران وكعبة ذي الخلصة[٨]، ويتضح أن أهل السراة ونجران وتهامة كانوا أصحاب ديانة، ومن ثم يسهل عليهم تحمل أي عذاب من أجل ما يؤمنون به، وتؤكد ذلك بعض الروايات من أن

---

(١) انظر: ابن هشام، ج١، ص ٢٧٧.

(٢) انظر: أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي: تهذيب الأسماء واللغات (طبعة مصر سنة ١٩٤٣م) ج١، ص ١٣٦، ١٣٧.

(٣) بلال بن رباح: مؤذن رسول الله ﷺ هو أبو عبد الله ويقال أبو عبد الكريم ويقال أبو عبد الرحمن وهو مولى أبي بكر الصديق وأمه حمامة مولاة لبني جمح، انظر: النووي: المصدر نفسه، ج١، ص ١٣٦.

(٤) ذكر ابن هشام أن اللات كانت لثقيف بالطائف وكان سدنتها وحجابها بنو معتب من ثقيف، انظر، السيرة، ج١، ص ٧٩، وذكر ابن حبيب أن تلبية نسك اللات (لبيك اللهم لبيك، كفى بيتا بيته ليس بمهجور ولا بلية، ولكنه من تربة زكية، أربابه من صالحي البرية) انظر، المحبر، ص ٣١٢.

(٥) ابن هشام، ج١، ص ٢٧٧، ٢٧٨.

(٦) ذكر الأزرقي أنه لما كان يوم الفتح رقى بلال فأذن على ظهر الكعبة فقال بعض الناس يا عباد الله ألهذا العبد الأسود أن يؤذن على ظهر الكعبة؟ فقال بعضهم: أن يسخط الله عليه هذا الأمر يغيره فأنزل الله عز وجل (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) وفي رواية أخرى (جاءت صلاة الظهر يوم الفتح فأمر رسول الله ﷺ بلالاً أن يؤذن للظهر فوق الكعبة وقريش فوق رؤوس الجبال وقد فر وجوههم خوفاً أن يقتلوا فمنهم من يطلب الأمان، ومنهم من قد دخل الإسلام، فلما أذن بلال رفع صوته كأشد ما يكون). الأزرقي: أخبار مكة، ج١، ص ٢٧٤.

(٧) انظر: أحمد أمين، فجر الإسلام، ص١٣٧، فؤاد حمزة. في بلاد عسير (دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٥١م) ص ٩١-٩٢.

(٨) ذكر ابن الكلبي أن ذا الخلصة كان يسمى الكعبة اليمانية. ابن الكلبي: الأصنام (القاهرة، د. ت) ص ٦٤، ذكر بيومي مهران أن البيوت المحرمة الحرام متنوعة كبيت الأقيصر، وبيت نجران، وبيت ذي الخلصة، انظر: تاريخ العرب القديم، ص٤١٦.

المهاجرين من السروات كانوا أكثر من ربع المهاجرين المسلمين إلى الحبشة[١]، ومن أولئك أسماء بنت عميس [٢]، وشرحبيل بن عبد الله أحد بني الغوث من خثعم، ومعيقب بن أبي فاطمة من قبيلة دوس، وأربعة عشر رجلاً من قبيلة زُبيد [٣]، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن السرويين كانوا على استعداد لتحمل أي تضحية في سبيل الدعوة الإسلامية .

وتطورت الدعوة الإسلامية من المرحلة السرية إلى الجهرية في مكة المكرمة، ثم جاءت هجرة الرسول ﷺ إلى يثرب، وقامت الدولة الإسلامية التي كان قائدها محمد بن عبد الله (عليه أفضل الصلاة والسلام)، ودخل المسلمون في ميادين المعارك مع قريش وغيرها، وكان لأهل نجران وتهامة والسراة دور بارز في تلك الحروب، فقد اشتركوا مع المشركين في القتال ضد المسلمين في أحد، والأحزاب وغيرها[٤].

ومن المؤكد أن هناك دوافع دعت قريشاً إلى الاستعانة بقبائل نجران وتهامة والسراة مثل الأحابيش، وكنانة، وثقيف، وذلك نتيجة لسابق بطولاتهم في وقائع أيام العرب[٥]، وأيضاً شعور قريش بالخوف والمذلة بعد أن هزمهم المسلمون في موقعة بدر سنة (٢هـ/٦٢٣م)[٦]. ويشير الحافظ ابن كثير إلى أن مبعوث المشركين إلى بلاد نجران وتهامة والسراة هو أبو عزة عمر بن عبد الله الجمحي[٧]، وقد اتجه إلى نجران وتهامة [٨]. يدعوهم إلى مساندة المشركين قائلاً:

أيا بني عبد مناة الرزام ... أنتم حماة وأبوكم حام
لا يعدوني نصركم بعد العام ... لا تسلموني لا يحل إسلام[٩]

---

(١) انظر :ابن هشام، ج١، ص ٢٨٦ .

(٢) أسماء بنت عميس : هي أسماء بنت عميس بن معد بن الحارث بن تميم بن مالك بن عامر بن ربيعة بن سعد بن مالك بن بشر بن وهب بن شهران بن عفرس، وتزوج أسماء جعفر بن أبي طالب فولدت له عبد الله ومحمداً وعوناً، ثم تزوجها أبو بكر الصديق، فولدت له محمداً، ثم تزوجها علي بن أبي طالب فولدت له يحيى، أنظر: ابن حزم، ص ٣٩٠

(٣) ابن هشام، ج١، ص ٢٨٢، ٢٨٥ .

(٤) انظر : ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤، ص٧، جواد علي ، المفصل، ج٤، ص ٣٨٢ . الواضح في كتب السير أن قريشاً كانت هي الفريق الرئيس في حرب الرسول ﷺ في بدر وأحد والخندق، لكن كان معهم مشاركون آخرون كثر من قبائل العرب، وأهل نجران وتهامة والسراة كانوا على صلات جيدة بأهل مكة، بل كانوا مساهمين معهم في جوانب سياسية وحضارية عديدة .

(٥) أيام العرب : هي الوقائع والمعارك التي نشبت بين قبائل العرب في الجاهلية وهي وقائع قد تنشب لأسباب متعددة سياسية واقتصادية أو اجتماعية أو نفسية، السيد عبد العزيز سالم : التاريخ السياسي والحضاري، ط، (بيروت، د. ت)، ص٢٤.

(٦) انظر : ابن كثير، ج٤، ص٢٤، انظر حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام، ج١، ص١١١

(٧) أبو عزة عمر بن عبد الله الجمحي : كان من أسرى المسلمين يوم بدر، وقد من عليه رسول الله ﷺ يوم بدر لأنه كان فقيراً ذا عيال وحاجة، لكن صفوان بن أمية قال له : يا أبا عزة إنك امرؤ شاعر فأعنا بلسانك واخرج معنا، فقال: إن محمداً قد منَّ عليّ فلا أريد أن أظاهر عليه، قال بلى فأعنا بنفسك فلك الله إن رجعت أن أغنيك وإن قتلت أن أجعل بناتك مع بناتي يصيبهن من عسر ويسر، انظر : ابن كثير، ص٢، ص١٠ .

(٨) نجران وتهامة من جبال صنعاء أولها مشرف على بحر القلزم مما يلي غربها، وشرقها بناحية صعدة وجرش ونجران، وشمالها حدود مكة. انظر: الاصطخري: المسالك والممالك (القاهرة، د.ت)، ص٢٦.

(٩) ابن كثير، ج٢، ص ١٠، ١١ . والرزام : أي الأشداء .

ويقال إن نافعاً بن عبد مناف[١]، خرج أيضاً إلى نجران وتهامة[٢]، ودعاهم لتطبيق الحلف المعقود بينهم عند الكعبة وقال:

يا مال الحسب المقدم أنشد ذا القربى وذا التذمم
من كان ذا رحم ومن لم يرحم الحلف وسط البلد المحرم
عند حطيم الكعبة المعظم[٣].

وهكذا أخذ مبعوث قريش نافع بن عبد مناف يحرض قبائل نجران وتهامة باسم الحلف المعقود بين قريش وقبائل نجران وتهامة والسراة عند الكعبة، وعندما سمع الرسول ﷺ في معركة أحد بقدوم قريش وحلفائها من نجران وتهامة والسروات وغيرها استشار الصحابة عن كيفية مواجهتهم، فأشار الشباب بلقائهم خارج المدينة، بينما رأى كبار الصحابة البقاء في المدينة لحصانتها الطبيعية، لكن الرسول ﷺ رأى قريشاً قد استعانت بالقبائل السروية والتهامية من الأحابيش وكنانة وثقيف، ووجد في عددهم كثرة وفي بأسهم قوة فعزم على الخروج، ونزل رسول الله ﷺ الشعب من جبل أحد، وعسكر على سفحه المواجه للمدينة[٤].

وتشير المصادر التاريخية إلى أن النصر كان حليف المسلمين في البداية، وسرعان ما نزل الرماة من الجبل يطلبون الغنائم تاركين الرمي على الأعداء، فخالفوا بذلك ما أمرهم به الرسول ﷺ فانقض المشركون على المسلمين في الجولة الثانية وانتهت المعركة بهزيمة المسلمين[٥].

أما عن دور عشائر نجران وتهامة والسراة من الأحابيش وكنانة وثقيف في غزوة الأحزاب فلا يقل عن دورهم في غزوة أحدٍ، ويشير ابن هشام إلى أن واقعة الأحزاب كانت في شوال سنة (٥هـ/٦٢٦م)[٦]، وكانت قريشاً قد خرجت من أحد منتصرة وخُيل إليها أنه لم يبق لها إلا أن تشن غارة أخرى فتقضي على الرسول ﷺ نهائياً ويدل على ذلك صيحة أبي سفيان بن حرب إن موعدكم يوم بدر العام المقبل[٧]، فلما جاءهم وفد من اليهود[٨]، اطمأنت قريش إلى نصرتهم، واستدعت الأحابيش وعرب كنانة ونجران وتهامة، وأقبلت بهم في حوالي عشرة آلاف[٩].

---

(١) نافع بن عبد مناف: هو نافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جمح، انظر: ابن كثير، ج٢، ص١٠.

(٢) نجران وتهامة: نجران وتهامة الأرض المحاذية لساحل البحر الأحمر الشرقي وقال المبرد إذا نسبوا إلى نجران وتهامة، قالوا رجل تهام بفتح التاء وإسقاط ياء النسبة، كما قالوا رجل يمان وشام إذا نسبوا إلى اليمن والشام. انظر: جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١، ص٦٤.

(٣) ابن كثير، ج٢، ص ١٠.

(٤) ابن خلدون، المصدر السابق، ج٢، ص ١٥، حسن إبراهيم حسن، ج١، ص ١١١.

(٥) السيد عبد العزيز سالم، ص ١٣٥، كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٥١.

(٦) انظر السيرة، ج٣، ص١١٤، ابن كثير، ج٤، ص٩٣.

(٧) ذكر ابن هشام أن قريشاً لم يسعفها الحظ ذلك العام لوقوع الجدب بأرضهم والكساد بتجارتهم. انظر: السيرة، ج٣، ص ١٢٧.

(٨) المصدر نفسه، ج٣، ص ١٣١.

(٩) ابن هشام، ج٣، ص١٣١، ابن كثير، ج٥، ص ١٠٢، حسن سليمان محمود. تاريخ اليمن السياسي في العصر الإسلامي (المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٦٩م)، ج١، ص١١٣، ١١٧، السيد عبد العزيز سالم، ص ١٣٦.

وعندما علم الرسول ﷺ بقدومهم استشار الصحابة فيما يفعل، فأشار عليه سلمان الفارسي بحفر الخندق[١]، وأثناء حصار قوات قريش وحلفائهم من نجران وتهامة والسراة وغيرها لخندق المسلمين أخذ فرسان بارق مثل الشاعر بن مرداس يدعو عشائر نجران وتهامة أن يتأهبوا للقتال، ثم خرجوا بخيولهم حتى مروا بمنازل بني كنانة، فقالوا: تهيأوا يا بني كنانة للحرب[٢]. وكانوا على أهبة الاستعداد للقتال، وكان في عددهم كثرة وفي بأسهم قوة، وعندما وجد الرسول ﷺ أن التوازن العسكري من حيث العدد والسلاح ليس في صالح المسلمين لجأ إلى حيلة يفرق بها الأحزاب التي اجتمعت لقتاله، وقد واتته الفرصة لتحقيق أهدافه عندما أعلن نعيم بن مسعود إسلامه، وعرض على الرسول ﷺ استعداده ليقوم بأي عمل ضد الأحزاب المحاصرة للمدينة[٣].

وفي مرحلتي الدعوة المكية والمدنية كان أهل نجران وتهامة والسراة على اطلاع بما يجري في حواضر الحجاز الرئيسة (مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والطائف)، بل كانوا في بادئ الأمر إلى جانب قريش في عدائهم للرسول ﷺ[٤]، ومع مرور الزمن بدأ الإسلام يتسلل إلى قلوب بعضهم، ولم تأت السنة العاشرة للهجرة، إلا والإسلام انتشر في أصقاع عديدة من الأوطان السروية والتهامية[٥]. وفي الصفحات التالية نورد نماذج من السرويين والتهاميين الذين دخلوا في حوزة الإسلام والمسلمين في عصر الرسالة[٦].

٢ : إسلام بعض السرويين والتهاميين والنجرانيين :

أ- إسلام دوس :

إن التحولات التاريخية في قبيلة دوس[٧]، من عالم الكفر إلى عالم الإيمان بدأت

---

(١) الخندق : كان الخندق شمال المدينة لأن الجهات الأخرى كانت محصنة بالجبال والنخيل والبيوت، وفرغ المسلمون من حفر الخندق قبل وصول قريش . انظر: حسن سليمان محمود، ج١، ص ١٢٧ .

(٢) وذكر ابن هشام أن بني كنانة عندما رأوا الخندق قالوا والله إن هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها . ابن هشام، ج٣، ص ١٣٤ .

(٣) للمزيد انظر: ابن كثير، ج٣، ص ١٠٥، حسن سليمان محمود، ج١، ص ١٢٠ . عندما جاء نعيم بن مسعود مسلماً إلى الرسول ﷺ وعرض عليه أن يكلفه أي عمل يقوم به في جهاد المشركين وصرفهم عن المدينة، قال له: خذل عنا فإن الحرب خدعة، فذهب ابن مسعود إلى بني قريظة وحذرهم من قريش، وقال إذا هزمتم نجت قبيلة قريش بنفسها وتركتكم تحت رحمة محمد، ثم نصحهم بألا يطمئنوا إلا أذا أعطوهم الرهائن من سادتهم وأشرافهم ، ثم ذهب إلى كل من قريش وغطفان وأوهمهم أن بني قريظة قد ندموا على نقضهم عهد محمد واتفقوا معه على أن يخدعوا قريشا وغطفان فيأخذوا بعض سادتهم على أنهم رهائن ويقدمونهم إلى محمد ليضرب أعناقهم، وأشار إلى عزم بني قريظة على الغدر بهم، حسن سليمان محمود، ج١، ص ١٢٠ .

(٤) هذا ما لمسناه في الصفحات السابقة من هذه الدراسة، فالبعض من العشائر السروية والتهامية شاركت المشركين في حروبهم ضد الرسول ﷺ . وموضوع التاريخ السياسي لبلاد نجران وتهامة والسراة والحجاز قبل الإسلام موضوع يستحق أن يكون عنوانا لرسالة أو بحث علمي.

(٥) للمزيد عن تاريخ الإسلام في نجران وتهامة والسراة في عصر الرسول ﷺ انظر: غيثان بن جريس . دراسات في تاريخ نجران وتهامة والسراة خلال العصر الإسلامي المبكر والوسيط (ق١ـ ق١٠هـ/ق٧ـ ق١٦م) . جزءان، انظر أيضاً للمؤلف نفسه، نجران، دراسة تاريخية حضارية (ق١ـ ق٤هـ/ق٧ـ ق١٠م)، الجزء الأول، ص٦٦ وما بعدها .

(٦) للمزيد من التفصيلات عن تاريخ الإسلام في نجران وتهامة والسراة في صدر الإسلام، انظر: ابن جريس، دراسات في تاريخ نجران وتهامة والسراة، جزءان .

(٧) دوس : هو دوس بن عدثان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث، ابن هشام، ج١، ص ٧٦ .

بالقمة وانتهت بالقاعدة، لذا كان من الضروري دراسة قصة إسلام شيخ دوس وهو الطفيل بن عمرو الدوسي، لأن قصة إسلامه تحمل مفاتيح إسلام قبيلة دوس، وهذا لا ينطبق على قبيلة دوس فحسب بل ينطبق على معظم قبائل نجران وتهامة والسراة مثل زبيد[١]، وبجيلة[٢]، ومراد[٣]، والأشعر[٤]، بل معظم القبائل التهامية والسروية نظراً للمكانة القيادية لشيخ القبيلة. ونتيجة لإدراك الرسول ﷺ لهذه الحقيقة الهامة فقد أعرض عن ابن مكتوم حينما كان يبسط دعوته لبعض سادات قريش[٥]، وعاتبه ربه ونزلت الآيات الكريمة ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾[٦].

ويشير ابن هشام إلى أن رسول الله ﷺ كان يدعو كل من يأتي إليه من العرب إلى النجاة مما هم فيه[٧]، وعند قدوم شيخ دوس الطفيل بن عمرو الدوسي إلى مكة سعت إليه أشراف قريش، حيث كان الطفيل رجلاً شريفاً فشكوا إليه الرسول ﷺ وحذروه من السماع له، لأن قوله كما يزعمون كالسحر يفرق بين الرجل وأبيه وأخيه وزوجته، وأعربوا له عن خوفهم عند سماعه ﷺ أن يحدث لقومه مثل ما حدث لقريش، وقد بلغ تأثر الطفيل مما سمعه من أشراف قريش عن الرسول ﷺ أن وضع في أذنيه كرسفاً - أي قطناً[٨]. وعندما أدرك الطفيل أنه قادر على أن يميز الخبيث من الطيب، فحدثته نفسه أن يسمعه فإذا كان ما يقوله حسناً قبله، وإن كان غير ذلك تركه، وكأنه لم يسمع شيئاً، فسعى إلى المسجد فوجد الرسول ﷺ قائماً يصلي فسمع منه كلاماً ما سمعه قبل ذلك من لسان بشر، وعندما أصابت آيات السماء قلب الطفيل فتحت مغاليق قلبه للإسلام، ثم أسرع إلى دار الرسول ﷺ وطلب منه أن يعرض عليه الإسلام، ثم ما لبث أن اطمأن قلبه للإسلام وأسلم[٩].

وعرض الطفيل على الرسول ﷺ أن يحمل رسالة الإسلام إلى قومه دوس لمنزلته فيهم وطاعتهم له، وطلب من الرسول ﷺ: أن يدعو له، وأن يجعل الله له عوناً في حمل

---

(١) زُبيد: هو زبيد بن سلمة بن مازن بن منبه بن صعب بن سعد العشيرة بن مذحج. ابن هشام، ج٢، ص٣٥.

(٢) بجيلة: تنسب إلى أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث أخي أزد بن الغوث، السمعاني، الأنساب، ج١، ص٢٨٤.

(٣) مراد: هي قبيلة منسوبة إلى مراد بن مذحج بن أدد بن زيد بن عمرو بن زيد بن كهلان بن سبأ. إبراهيم أحمد المقحفي. معجم المدن والقبائل اليمنية (منشورات دار الحكمة، صنعاء، ١٩٨٥م)، ص٣٧٥.

(٤) الأشعر: هو النبت بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٣٩٧.

(٥) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، (ط دار صادر، بيروت د.ت) ج٤، ص ٢٠٨.

(٦) سورة عبس، الآيات (١-١٠)

(٧) ابن هشام، السيرة، ج٢، ص ٢٢.

(٨) المصدر نفسه، ج٢، ص ٢٢، وللمزيد انظر: محمد أمين صالح. تاريخ اليمن الإسلامي (مطبعة الكيلاني، القاهرة، د.ت)، ص ٤٣.

(٩) ذكر ابن هشام أنه اتجه إلى دار الرسول ﷺ يروي له حكايات أشراف قريش عنه ورغبته في أن يكتشف بنفسه صدق نبوته من عدمه فكانت آيات الله هي الفيصل في تصديق نبوته. انظر، السيرة، ج٢، ص ٢٨٢، للمزيد انظر، محمد أمين صالح، ص ٤٣، غيثان بن جريس، دراسات في تاريخ نجران وتهامة والسراة، ج١، ص٢١ وما بعدها.

الرسالة إلى قومه، فقال الرسول ﷺ " اللهم اجعل له آية" [١]، والمقصود بالآية علامة تميزه عن غيره، كما ميز الله الرسل عن غيرهم بالمعجزات، وبدأ الطفيل دعوته بالأقربين عقب عودته إلى سروات دوس حيث عرض الإسلام على أبيه [٢]، فأسلم بعد أن قام وتطهر وقال يا بني ديني دينك، ولكن أمه أنكرت الإسلام[٣].

بينما وجد الطفيل أن زوجته تميل إلى الإسلام، فقال لها اذهبي إلى ذي الشرى[٤]، وتطهري منه ثم أسلمت[٥]، وكان أمراً ضرورياً أن تتطهر من هذا الصنم نظراً لمدى تعلق نساء دوس بهذا الصنم[٦]، وبالرغم من معارضة أمه للدعوة الإسلامية إلا أن معارضة قومه كانت أشد وأكبر[٧]، ويتضح ذلك حينما دعا قومه إلى الإسلام، فكثر رفضهم واشتد إنكارهم له وبعد أن أصابه اليأس من إسلام قومه عاد إلى الرسول ﷺ وطلب منه أن يدعو على قومه، ولكن الرسول ﷺ دعا لهم بالهداية وقال: (اللهم أهد دوسا) وفي رواية أخرى: (اللهم أهد دوساً وارفق بها) وقال له : (ارجع إلى قومك فادعهم وأرفق بهم)"[٨]. ويعلل ابن هشام موقفهم المعارض من الإسلام إلى ميراثهم الوثني الذي حال بينهم وبين قبولهم الإسلام، فضلاً على أن ميراثهم من العادات والتقاليد كان فاسداً وقدوتهم كانت على ضلال[٩].

عاد الطفيل إلى قبيلة دوس يدعو قومه برفق كما تعلم في مدرسة الرسول ﷺ، وقد امتدت دعوته لهم سنوات عديدة لأن الرسول ﷺ هاجر إلى المدينة، ومضت غزوات رسول

---

(١) يشير ابن هشام إلى الآية التي جُعلت له، وهي نور بين عينيه، فسأل الله أن تكون في غير وجهه لفراقه دينهم، فتحول النور فوقع في رأس سوطه، فكان يضيء في الليل، ولهذا لقب بذي النور، وفي رواية أخرى قال يارسول الله أخشى أن تكون مثلة، فرجع النور إلى طرف سوطه بعد أن كان في وجهه، وظهرت الآية عندما كان في طريقه إلى بلاد السراة، ويقال وقع نور بين عينيه مثل المصباح فقال اللهم في غير وجهي . ومن هذا يتضح بجلاء أن الآية لم تقع له أمام الرسول ﷺ بل وقعت له وهو في الطريق، هذا فضلاً على أنه سأل الله ولم يسأل الرسول ﷺ . للمزيد انظر: ابن هشام، ج٢، ص٢٣، محمد عجاج الخطيب : أبو هريرة راوية الإسلام، (المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، د. ت) ص ٨٥ .

(٢) يذكر أنه عقب عودته سأل أباه أن ينأى عنه، فسأله أبوه عن السبب فذكر له أنه أسلم واتخذ الإسلام ديناً، فسأله والده عن الإسلام فعرض عليه الطفيل الإسلام فقبله قبولاً حسناً، انظر: ابن هشام، ج٢، ص٢٣ .

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص ٢٣، محمد عجاج الخطيب، ص ٨٥ .

(٤) ذو الشرى : صنم لبني الحارث بن يشكر بن مبشر من الأزد وفيه يقول أحد الشعراء:

أذن لحللنا حول مادون ذي الشري وشج العدى منا خميس عرمرم

انظر : ابن الكلبي، الأصنام (القاهرة، د . ت)، ص ٣٧ .

(٥) ابن هشام، ج٢، ص ٢٣ .

(٦) قال رسول الله ﷺ " لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوس على ذي الخلصة " أي أنهم يرتدون ويعودون إلى جاهليتهم في عبادة الأوثان، وتسعى نساء دوس طائفات حول ذي الخلصة فترتج أعجازهن. الأزرقي : أخبار مكة، ص ٣٧٧، جواد علي، ج١، ص ٢٧٢ .

(٧) انظر : ابن هشام، السيرة، ج٢، ص ٢٤ .

(٨) للمزيد انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص ٣٥٣، ابن هشام، ج، ص٢٤، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢، ص ٦٨٠، محمد الخطيب، ص٨٥ .

(٩) انظر: ابن هشام، السيرة، ج٢، ص ٢٤ .

الله ﷺ أحد، وبدر، والخندق، ولم يزل أبناء دوس على حالهم من الكفر والعصيان، مما يفيد أن دوسا قد تأخر إسلامها إلى السنة السابعة للهجرة، ثم قدم الطفيل على رسول الله ﷺ ومعه زهاء سبعين أو ثمانين رجلاً بخلاف نسائهم وأولادهم [١]، ومن الرجال الذين قدموا مع الطفيل أبو هريرة[٢]، وقد ساروا إلى رسول الله ﷺ وهو بخيبر، وقسم لهم من غنيمة خيبر، ثم قدموا إلى المدينة فقال الطفيل يا رسول الله لا تفرق بيني وبين قومي فأنزلهم عليه أفضل الصلاة والسلام جميعاً حرة الدجاج بالمدينة المنورة[٣]. وبعد أن هدم الرسول ﷺ أصنام مكة، في السنة الثامنة للهجرة، طلب من الطفيل أن يهدم صنم دوس وهو (ذو الكفين) [٤]، وتشير بعض المصادر في هذا الصدد إلى أنه عندما جاء نصر الله وفتح رسول الله مكة، وهدم الأصنام، بعث الطفيل إلى ذي الكفين لهدمه، وأمره أن يأتي بقومه إليه بالطائف، ويقال إن الطفيل حرق ذا الكفين وأخذ يوقد عليه النار ويقول:

يا ذا الكفين لست من عُبّادكا ميلادنا أقدم من ميلادكا
إني حشوت النار في فؤادكا [٥]

ب. إسلام بجيلة :

لعل من الضروري قبل الحديث عن إسلام بجيلة أن نعرف نسب بجيلة الذي تضاربت فيه أقوال المؤرخين، ولم يتفقوا على رأي واحد بشأنها، فيذكر السمعاني أن بجيلة من قحطان[٦]، وأن نسبها يرجع إلى أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث أخي أسد (أزد) الغوث[٧]، وبجيلة وأختها من أمها باهلة[٨]، وهما قبيلتان عظيمتان تنسبان

---

(١) لمزيد من التفصيلات عن إسلام عشائر دوس انظر: ابن هشام، السيرة، ج٣، ص٢٠٩، ابن سعد، الطبقات، ج١، ص ٣٥٣، ابن جريس، دراسات في تاريخ نجران وتهامة والسراة، ج١، ص ٢٩ ومابعدها، محمد الخطيب، ص ٨٥، محمد أمين صالح، ص ٤٣ .

(٢) أبو هريرة : يقال أن سليم بن فهم أنجب ثعلبة، وينسب أبو هريرة إلى ثعلبة فهو عبد الله بن عامر بن عيد ذي الشري بن طريف بن عباد بن صعب بن سعد بن ثعلبه بن سليم بن فهم، وبنوه المحرز بن أبي هريرة، وعبد الرحمن بن أبي هريرة وبلال بن أبي هريرة ولأبي هريرة أخ يقال له كريم . ابن حزم : جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ص ٣٨١، ٣٨٢، وذكر محمد الخطيب أن نسبة أبي هريرة تعود إلى دوس بن عدثان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن عبد الله بن مالك بن نصر وهو شنوءة بن الأزد . انظر: أبو هريرة راوية الإسلام، ص ٨٥ .

(٣) انظر : ابن سعد، ج١، ص ٣٥٣ .

(٤) ذو الكفين : كان لدوس في أرض السراة، وهو صنم من خشب كان لعمرو بن حممة الدوسي، وعمرو هذا هو والد الطفيل الذي أرسله رسول الله ﷺ إلى ذي الكفين فهدمه وحرقه، وإن ذا الكفين كان في بيت آل حممة، انظر: محمد الواقدي . كتاب المغازي تحقيق مارسدن جونس (عالم الكتب، بيروت، د. ت)، ج٣، ص٩٢٣، الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص٣٨٨، ٣٨٩، ابن هشام، ج١، ص٨١، ابن حزم، ص ٤٩٤، وجواد علي، ج٦، ص ٢٧٤، ٢٧٥، ابن جريس، دراسات في تاريخ نجران وتهامة والسراة، ج١، ص٣٢، ٤٨، ٤٩.

(٥) انظر : ابن حبيب، المحبر، تصحيح، إيلزة ليختن، ط دار الآفاق الجديدة بيروت، ص ٣١٨، ابن هشام، ج١، ص٣٨٥، ابن سعد، ج٢، ص١٥٧ .

(٦) قحطان : ذكر ابن حزم أن اليمانية كلها راجعة إلى ولد قحطان، انظر : جمهرة أنساب العرب، ص ٣٢٩ .

(٧) السمعاني، الأنساب، ج١، ص ٢٨٤ .

(٨) باهلة : هم بنو مالك بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . ابن حزم، ص ٤٨١ .

إلى صعب بن سعد العشيرة[١]، بينما يذهب مرجع آخر إلى أن نسب بجيلة يرجع إلى العدنانية[٢]، ويدلل على ذلك بأن شيخ بجيلة جرير بن عبد الله البجلي نافر رجلاً من اليمن إلى الأقرع بن حابس حكيم العرب وهو من العدنانية فقال له :

يا أقرع بن حابس يا أقرع إنك إن يصرع أخوك تصرع[٣]

وبالرغم من أن قبيلة بجيلة دخلت في الإسلام متأخرة شأن معظم قبائل السروات إلا أن هناك دوافع دفعتهم إلى الإسلام منها سرية كرز بن جابر الفهري إلى العرنيين[٤]، وكانت كالسهم الذي أصاب بجيلة في مقتل ودفعهم إلى الإسلام دفعا، وتذكر بعض الروايات بأن جماعة من بجيلة اتجهوا إلى رسول الله ﷺ وقد كادوا يهلكون من فرط جهدهم، فأنزلهم الرسول ﷺ عنده، ثم طلبوا منه أن يكونوا في منأى عن المدينة، فأخرجهم الرسول ﷺ إلى مكان آخر خارج المدينة مع مولاه يسار، ولكنهم قتلوا مولى الرسول ﷺ ومثلوا بجثته، وساقوا إبل رسول الله معهم إلى بلادهم في أرض السروات[٥]، وعندما بلغت رسول الله ﷺ هذه الأنباء بعث في أثرهم سرية كرز بن جابر الفهري، وفي رواية أخرى سعيد بن زيد فأدركوهم، فأمر رسول الله ﷺ فقطعت أيديهم وأرجلهم وسملت عيونهم[٦]، وذلك بعد أن نزلت فيهم الآيات التالية ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣ ﴾[٧].

والمتتبع لأحداث السيرة النبوية يجد أنه لم تسمل عين ولم تقطع الأيدي والأرجل من خلاف لأحد في عهد الرسول ﷺ إلا أبناء بجيلة، وقد بلغت الأحداث ذروتها بهزيمة هوازن [٨] وثقيف، في موقعة حنين سنة (٨هـ/٦٢٩م)، والفائدة من هزيمة قبيلتي هوازن وثقيف، بالنسبة لبجيلة، أنهما تقعان شمال بلاد بجيلة، أي في سروات الطائف وما حولها، وهزيمتهم معناها، نهاية خط الدفاع الأول بالنسبة لبلاد بجيلة في أرض السروات، ويمكن القول إنه بهزيمة قبيلتي هوازن وثقيف أصبحت بجيلة في مواجهة غير متكافئة

---

(١) القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص ١٧١ .

(٢) العدنانية : ومن أولاد عدنان " معد " ومنه تناسل عقب عدنان، وكان لمعد أربعة أولاد إياد ونزار وقنص وأنمار . انظر: حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام، ج١، ص ١٢ .

(٣) انظر : عمر رضا كحالة : معجم القبائل العربية القديمة والحديثة، (مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت)، ط١، ص ٦٣ .

(٤) العرنيون : هم ولد نذير بن قسر بن عيقر بن أنمار، منهم جرير بن عبد الله البجلي بن جابر بن مالك بن نصر ابن ثعلبة بن جشم بن عويف بن خزيمة، انظر: ابن حزم، ص ٣٨٧ .

(٥) ابن سعد، الطبقات، ج٢، ص ٩٣، ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج٢، ص ٨٨، ٨٩ .

(٦) المصدران نفسهما .

(٧) سورة المائدة، آية (٣٣) .

(٨) هوازن : جمع هوزان، وهو ضرب من الطير . وقد سمت العرب هوزناً فولد له هوازن، فمنهم بنو سعد بن بكر بن هوازن استرضع النبي ﷺ فيهم، فجاءته بنت حليمة أخته من الرضاعة يوم حنين فطرح لها رداءه وأعتق لها سبي قومها أجمعين .

مع قوات الرسول ﷺ، وذلك مما عجل بقدومها، ولاسيما بعد أن نجح الرسول ﷺ في القضاء على قوات خثعم في السراة[١].

وكان مجيء وفد بجيلة عقب هزيمة هوازن وثقيف في غزوة حنين، وقد تنبأ الرسول ﷺ بمجيء هذا الوفد فقال (يطلع عليكم من هذا الفج من خير ذي يمن وعلى وجهة مسحة ملك)[٢]، فطلع جرير على راحلته ومعه قومه فأسلموا وبايعوا الرسول ﷺ في رمضان سنة (١٠هـ/٦٣١م)[٣]، وكان قدوم وفد بجيلة ودخولهم الإسلام موضع سعادة الرسول ﷺ فرحب بهم وبشيخهم جرير وألقى له رداءه وقال (إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه، وما حجبه رسول الله ﷺ منذ أسلم ولا رآه إلا وضحك في وجهه)[٤]، ولم تكن مظاهر التكريم قاصرة على شيخ بجيلة، بل شملت قبيلة بجيلة، فكان يضيفهم ويكرمهم وينزلهم على الرحب والسعة في دور الضيافة بالمدينة، حتى ينزع من صدورهم ما علق بها من حادث العرنيين[٥].

وقد سأل الرسول ﷺ جريراً عن أحوال الإسلام في السراة والكعبة اليمانية[٦]، فأخبره بأن الإسلام ظهر في بلاد السراة وشاع الأذان في مساجدهم وساحاتهم، ولكن الكعبة اليمانية مازالت قائمة، فأمره الرسول ﷺ بهدمها[٧]، فنفر جرير إليها على رأس مائة وخمسين فارساً من أحمس[٨]، فهدم البيت بعد أن حرقه ثم بعث إلى الرسول ﷺ رجلاً يدعى أبو أرطأة يبشره بهدمها[٩]، وما إن وصل إلى آذان الرسول ﷺ هدم الكعبة اليمانية حتى أخذته الفرحة فَبَرَّك على خيل أحمس ورجالها خمس مرات[١٠]، وكانت بهجة الرسول ﷺ بهدم الكعبة اليمانية (صنم ذو الخلصة) ترتكز على بعض الأسباب مثل: **(١)** إن هذه الكعبة الوثنية كانت أحد المعبودات الرئيسة في الجزيرة العربية[١١]. **(٢)** إن

---

(١) للمزيد انظر: مؤلف مجهول (فتوح اليمن)، ص٦، ٢١، محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية، ص ١١٢ - ١١٣ ، ابن جريس، دراسات في تاريخ نجران وتهامة والسراة، ج١، ص٣٥ وما بعدها .

(٢) السمعاني، ج١، ص٣٤٧، ابن كثير، ج٤، ص ٧٧ .

(٣) ابن سعد : المصدر السابق، ج٢، ص ٣٤٧، ابن قتيبة، المعارف، ص ٢٩٢ .

(٤) ابن كثير، ج٤، ص ٧٧، السمعاني، ج١، ص ٣٤٧ .

(٥) السمعاني، ج١، ص ٣٤٧، ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج٢، ص ٨٨ .

(٦) الكعبة اليمانية : صنم ذو الخلصة وكانت تسمى الكعبة اليمانية . ابن الكلبي، الأصنام، ص ٦٤ .

(٧) للمزيد عن تاريخ الكعبة اليمانية (ذو الخلصة) وكيف تم هدمها من قبل جرير البجلي، انظر: الأزرقي، ج١، ص ٣٨٠، ابن حبيب، المحبر، ص ٣٧٠، ابن جريس، دراسات في تاريخ نجران وتهامة والسراة، ج١، ص٣٩. ج٢، ص ٤٢٣ وما بعدها .

(٨) أحمس : هو من ولد الغوث بن أنمار، وأحمس بن الغوث بطن لهم سوابق في الإسلام منهم بنو نقر بن عمرو بن لؤي بن رهم بن معاوية بن أسلم بن أحمس، ومنهم قيس بن أبي حازم الفقيه، واسمه أبي حازم عوف بن عبد الحارث بن عوف بن حشيش بن هلال بن عوف بن جشم بن النقر ولأبيه صحبة، ابن حزم، ص ٣٨٨، ٣٨٩ .

(٩) ابن كثير، ج٤، ص ٧٠٩ .

(١٠) ابن كثير، ج ٤، ص ٧٠٩

(١١) الأزرقي، ج١، ص ٣٧٨، وذكر بيومي مهران أن البيوت الحرام متنوعة: كبيت الأقيصر، وبيت نجران، وبيت ذي الخلصة، انظر: تاريخ العرب القديم، ص ٤١٦ .

صنم ذي الخلصة لم يكن وثناً محلياً، وإنما شبه قومي، نظراً لأنه كان قبلة الكثير من القبائل العربية مثل بجيلة وخثعم والحارث بن كعب[١]، وجرم وزبيد ودوس وأزد السراة [٢]، وهوازن والغوث وبنوهلال بن عامر وكانوا سدنته[٣].

ج- إسلام مراد، وزُبيد، وبارق، والأزد :

١- وفد مراد :

ظلت الوفود طوال السنة العاشرة للهجرة (١٠هـ/٦٣١م) تفد على المدينة من أنحاء بلاد نجران وتهامة والسراة تعلن دخولها في الإسلام، ومن هذه الوفود وفد مراد الذي قدم مع فروة ابن مسيك المرادي على رسول الله ﷺ مفارقاً لملوك كندة[٤]، وتذكر بعض المصادر التاريخية أنه قبيل مشرق الإسلام وقعت حوادث ووقائع عدة، منها واقعة يوم الردم[٥]، وفي رواية أخرى يوم الردم[٦]، وأصابت فيها همدان من مراد دماً كثيراً وكان على رأس همدان في تلك الواقعة الأجدع بن مالك والد مسروق[٧]، وكانت هزيمة مراد مبعث أشجان ابن مسيك المرادي لانطلاق شعره [٨] . وعندما توجه فروة إلى الرسول ﷺ

---

(١) الحارث بن كعب : ولد الحارث بن كعب، كعب، وربيعة فولد كعب بن الحارث بن كعب ربيعة، ومالك، ومويلك، ويعرفون بأمهم عقدة، وهم بنو عقدة، ومن بني مالك بن كعب بن الحارث بن كعب، بنو عبد المدان واسمه عمرو بن كعب بن الحارث بن كعب، وهم بيت مذحج وأخوال أبي العباس السفاح، انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٤٦١، ويقال إن بني الحارث بن كعب حي من اليمن من مذحج في نجران، وهم أخوة همدان، وموطنهم شمال صنعاء، انظر حسين بن علي، اليمن الكبرى، (القاهرة، د.ت)، ص ١٦٦ .

(٢) أزد السراة : كان للأزد من الأولاد، مازن ونصر وعبد الله، وهم ثلاثة أقسام: أحدهم: أزد شنوءة، وهم بنو نصر بن الأزد، وشنوءة: لقب لنصر، والثاني أزد السراة، بالإضافة إلى أزد السراة وهو موضع بأطراف اليمن نزلت به فرقة من الأزد فعرفوا به ، القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص ٩١، ويذكر أن سراة كل شيء أعلاه .جودة حسنين جودة : شبه الجزيرة العربية، (دار المعرفة الجامعية ،الاسكندرية، ١٩٨٨م)، ص ٣٣ . ونقول إن أزد السراة هي البلاد الممتدة من بلاد غامد وزهران شمالاً إلى شمال مدينة أبها حالياً .

(٣) ابن حبيب، المحبر (دار الآفاق الجديدة بيروت) ص ٣١٧ .

(٤) للمزيد انظر: ابن سعد، ج١، ص ٣٢٧، الطبري، ج٣، ص ٣١٤، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢٩٥ . ابن كثير، ج٥، ص٧٠، ابن خلدون، ج٢، ص٥٥، عصام الفقي : اليمن في ظل الإسلام (دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت)، ص ٢٧ .

(٥) واقعة يوم الردم ، أو الرزم : جرت في حوالي (٦٣٣م)، أي في السنة التي وقعت فيها معركة بدر، وقد حدث نزاع على الصنم يغوث، وأراد بنو مراد أن يكون الصنم فيهم وسدانته لهم، وأراد بنو أنعم الاحتفاظ بحقهم فيه، فهرب بنو أنعم بصنمهم إلى بني الحارث، وحدث نزاع بين بني مراد، وبني الحارث بن كعب حول الصنم، فلما أبت بنو الحارث تسليم الصنم إلى مراد أرسلت عليها مراد جيشاً، فاستنجدت بنو الحارث بهمدان فنشبت بينهم معركة عرفت بيوم الردم، وانهزمت فيها مراد ومنيت بخسارة كبيرة، وبقي الصنم في بني الحارث . انظر: جواد علي، ص ١٢٣.

(٦) انظر : ابن كثير، البداية، ج٥، ص ٧٠ .

(٧) مسروق : هو مسروق بن الأجدع بن مالك من ولد عك بن عدنان بن عبد الله بن الأزد بن زيد بن كهلان بن سبأ . انظر، الطبري، ج٣، ص١٣٤، ابن الأثير، ج٢، ص ٢٩٥، ابن كثير، ج٥، ص٧٠، إبراهيم أحمد المقحفي، ص ٢٩٢ .

(٨) وأنشد فروة المرادي في هزيمة قومه :

فإن نغلب فغلابون قدما ... وأن نهزم فغير مهزمينا
وإن نقتل فلا جبن ولكن ... منايانا وطعمة آخرينا
كذلك الدهر دولته سجال ... تكر صروفه حيناً فحينا

مفارقاً قومه فقال:

لما رأيت ملوك كندة أعرضت ... كالرجل خان الرجل عرق نسائها
يممت راحلتي أؤم محمداً ... أرجو فواضلها وحسن ثرائها[١]

وحينما بلغ فروة وقومه المدينة، أحسن الرسول ﷺ استقبالهم[٢] ثم بايعوا الرسول ﷺ ويذكر أن الرسول ﷺ أعطى فروة اثنتي عشرة أوقية، وأعطاه حلة من نسيج عمان، واستعمله على مراد وزبيد ومذحج[٣]، وقد دار حوار بين الرسول ﷺ وفروة حول واقعة الرذم، وذكر الطبري أن الرسول قال له (يا فروة هل ساءك ما أصاب قومك يوم الرذم، فقال يا رسول الله : من ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومي ولم يسؤه ذلك) [٤]. فقال له الرسول ﷺ أما أن ذلك لم يزد قومك في الإسلام إلا خيرا) [٥]، وكان الرسول ﷺ يرسل تلاميذه الذين نهلوا من فيض علمه إلى القبائل التي انضوت تحت لواء الإسلام، وبعد إسلام وفد مراد أرسل الرسول معهم خالد بن سعيد بن العاص يرشدهم في شؤون دينهم، ويعلمهم القرآن وفرائض الإسلام، واستعمله (عليه أفضل الصلاة والسلام) على الصدقات، وكتب له كتاباً فيه فرائض الصدقة، واستمر خالد بن سعد بن العاص على الصدقات إلى أن توفي رسول الله ﷺ[٦].

٢. وفد زُبيد :

قدم وفد زُبيد على رسول الله ﷺ سنة (١٠هـ/٦٣١م) [٧]، وفي بعض الروايات سنة

فبيناه يسير به ويرضى ... ولو لبست غضارته سنينا
ومن يغبط بريب الدهر منهم ... يجد ريب الزمان له خؤونا
فلو خلد الملوك إذاً خلدنا ... ولو يبق الكرام إذاً بقينا
فأفنى ذاكم سروات قومي ... كما أفنى القرون الأولينا

انظر : الطبري، ج٣، ص ٣١٥، ابن الأثير ،ج٢، ص ٢٩٥ .

(١) الطبري : ج٣، ص ١٣٥، ابن كثير، ج٥، ص ٧٠ .

(٢) هذه هي عادة الرسول في استقبال الوفود فقد كان يضيفها ويكرمها وينزلهم على الرحب والسعة في دار الضيافة بالمدينة فإذا أسلمت بايعها على الإسلام وأقطعها أرضها وبلادها وأمر عليها واحداً منها حتى إذا ما أذنت بالرحيل إلى بلادها أعطاها جائزة وبعث معها رسولاً يفقهها في دينها، انظر: محمد أمين صالح، تاريخ اليمن السياسي، ص ٤٧ .

(٣) الطبري، ج٣، ص ١٣٥، ابن سعد، ج١، ص٣٢٧، ابن خلدون، ج٢، ص٢٢٥ . مذحج: هو أبو مجموعة من القبائل اليمنية كثيرة العدد منها عبس، ومراد، والنخع، وصدا وغيرها، ومذحج يسمى سعد العشيرة لأنه كان يسأل فيجيب هؤلاء عشيرتي خوفاً من العين، ومن سعد العشيرة الحكم وإليه ينسب مخلاف حكم المشهور بالمخلاف السليماني نسبة إلى سليمان بن طرف الحكمي الواقع بجازان وتهامة الشمالية انظر: الهمداني : الإكليل (تحقيق محمد بن علي الأكوع، القاهرة، د. ت) ج١، ص٩٤ .

(٤) الطبري، ج٣، ص ١٣٥، ابن الأثير، ج٢، ص ٢٩٦ .

(٥) ابن الأثير، ج٢، ص ٢٩٦

(٦) انظر : ابن سعد، ج١، ص ٣٢٧، الطبري، ج٣، ص١٣٦، ابن الأثير، ج٢، ص ٢٩٧، ابن كثير، ج٥، ص ٧١ .

(٧) الطبري، ج٣، ص١٣٢، ابن كثير، ج٥، ص٧٢ .

(٩هـ/٦٣٠م) وعلى رأسهم عمرو بن معديكرب [١]، في عشرة نفر من زبيد إلى المدينة[٢]. ويذكر الطبري أن عمرو بن معديكرب قال لابن أخته قيس بن مكشوح المرادي[٣]، اذهب بنا إلى هذا الرجل - يعني رسول الله ﷺ - فلن يخفى علينا أمره [٤]، ولكن قيس رفض بشدة، فذهب عمرو مع من أطاعه من قومه إلى المدينة، وعند وصوله إلى يثرب، قال من سيد هذه البحرة، فقيل له سعد بن عبادة : فذهب إليه فرحب به سعد وأكرمه ثم اصطحبه إلى رسول الله ﷺ فأسلم[٥]، وتشير بعض المصادر إلى أن رسول ﷺ لم يستعمل عمراً على زبيد واستعمل بدلاً منه فروة بن مسيك[٦]، وسبب ذلك أن فروة كان مفارقاً لملوك كندة بعد واقعة الرذم[٧]، واستعمل الرسول ﷺ بدلاً منه فروة المرادي على قبيلة زبيد[٨]، مما كان مبعثاً على غضب عمرو وسخطه، وربما ذلك كان أحد الأسباب الرئيسة في ارتداده عن الإسلام[٩]، ونلحظ أن تعيين الرسول ﷺ شخصاً أجنبياً على قبيلة زُبيد مثل فروة بن مسيك سبب كارثة لشيخ زُبيد عمرو بن معديكرب الزبيدي، خاصة وأنه صاحب مكانة ليس في قومه فحسب بل في العرب جميعاً، وليس أدل على ذلك من أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يعده بألف فارس [١٠].

٣- وفد بارق :

يعتبر وفد بارق من الوفود التي انطلقت من ديار نجران وتهامة والسراة لإعلان

---

(١) عمرو بن معديكرب الزبيدي : ينتهي نسبه إلى زبيد فهو قحطاني الأصل، وفارس اليمن، وتضرب الأمثال بفروسيته وبسالته، ومعنى معديكرب وجه الفلاح، المعدي هو الوجه، والكرب هو الفلاح .ابن هشام : ج٢، ص ٣٥ .

(٢) انظر: ابن سعد، ج١، ص ٣٢٨، الطبري، ج٣، ص ١٣٢ .

(٣) قيس بن مكشوح المرادي : ليس من مراد إنما هو حليف لها واسمه مراد يحابر بن سعد العشيرة بن مذحج، ونسبه في بجيلة ثم في بني أحمس، وأبوه مكشوح واسمه هبيرة بن هلال . ويقال عبد يغوث بن هبيرة بن الحارث بن عمرو بن عامر بن علي بن أسلم بن أحمس بن يغوث بن هبيرة، ويكنى قيس أبا شداد، وهو قاتل الأسود العنسي الكذاب، وقد اشترك معه في ذلك فيروز، وقتل مع علي يوم صفين، وله في هذا اليوم وفي حروب الشام ضد الروم وقائع لم يسمع بمثلها أحد بعد خالد بن الوليد، ابن هشام، ج١، ص ٣٥ .

(٤) الطبري، المصدر نفسه، ج٣، ص ١٣٢، ١٣٣، ابن خلدون، ج٢، ص ٥٥ .

(٥) انظر : ابن سعد، ج١، ص ٢٣٨، ابن خلدون، ج٢، ص ٥٥ .

(٦) الطبري، ج٣، ص ١٣٤، ابن الأثير، ص ٣٩٨، ابن كثير، ج٥، ص٧٢، ابن خلدون، ج٢، ص٥٥.

(٧) الطبري، ج٣، ص ١٣٤، ابن كثير، ج٥، ص ٧٠ .

(٨) انظر :ابن سعد، ج١، ص٣٢٨، الطبري، ج٣، ص٣٢٧ .

(٩) النعمان عبد المتعال القاضي : شعر الفتوح الإسلامية (الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥م) ص٢٠٢، ص ٢٠٧ .

(١٠) المرجع نفسه، ص ٢٠٧، وللمزيد عن شخصية عمرو بن معديكرب الزبيدي منذ دخوله الإسلام إلى ارتداده ثم رجوعه للإسلام وخروجه للجهاد في سبيل الله، انظر محمد بن عبد الله بن قتيبة . الشعر والشعراء (دار إحياء العلوم، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ص٢٤٠-٢٤٢، أحمد بن عبد ربه. العقد الفريد (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ج١، ص ١٢٤، ٣١٨-٣١٩). انظر أيضاً : أبو محمد أحمد بن أعثم . كتاب الفتوح (مصور من طبعة حيدر أباد بالهند، بيروت، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)، ج١، ص ٢٧١ وما بعدها، غيثان بن جريس، دراسات في تاريخ نجران وتهامة والسراة، ج١، ص ٥٥ - ٩١ .

إسلامها في المدينة، وكان موضع استقبال الوفد في المسجد النبوي[١]، والمسجد في عهد الرسول ﷺ لا يمثل مكاناً للعبادة فقط، بل كان يؤدي وظيفة إدارية، فقد كان يمثل مقر الحكم، الذي تجرى فيه مراسم الاستقبال، ويرحب فيه حسان بن ثابت بالوفود العربية، إلى جانب ذلك كان الرسول ﷺ يعطيهم الهدايا من الأموال والإقطاعات أيضاً[٢]، وحين بلغ وفد بارق مسجد الرسول فتح لهم الرسول ﷺ أبواب الإسلام، وبسط يده من فيض كرمه بما أرضاهم فدخلوا آمنين، وكتب لهم كتاباً بذلك، وأشهد عليهم أبا عبيدة بن الجراح وحذيفة بن اليمان وكتبه أبي بن كعب، وجاء في ذلك الكتاب " هذا الكتاب من محمد رسول الله لبارق لا تجز ثمارهم ولا ترعى بلادهم في مربع ولا مصيف إلا بمسألة من بارق، ومن مر بهم من المسلمين في عرك أو جدب فله ضيافة ثلاثة أيام، وإذا أينعت ثمارهم فلا بن السبيل اللقاط يوسع بطنه من غير أن يقتثم)[٣]. وقد أوردنا هذا الكتاب باعتباره وثيقة تاريخية ولازمة من لوازم استقبال الرسول ﷺ للقبائل.

٤. إسلام الأزد :

من أهم الوفود التي قدمت على الرسول ﷺ وفد الازد[٤]، وكان يتكون من بضعة عشر رجلا يتقدمهم صرد بن عبد الله الأزدي في شهر رمضان سنة (١٠هـ/٦٣١م)، ونزلوا على عبد الله بن عمر فحياهم وأكرمهم، واقاموا عنده عشرة أيام، ثم توجه صرد إلى رسول الله ﷺ وأسلم هو وقومه[٥]، ومن مظاهر حكمة رسول الله ﷺ أنه كان لا يحرم ذوي النفوذ في الجاهلية من نفوذهم في ظل الإسلام، وكانت الأفضلية محك اختبار الرسول لشيوخ القبائل، وقد رأى عليه أفضل الصلاة والسلام أن صرد أفضلهم فأمره على من أسلم من قومه، وأمره الرسول بأن يجاهد بمن أسلم من أهل بيته المشركين من قبائل اليمن . ويذكر الطبري أن صرد الأزدي رجع إلى جرش فوجد خثعم دخلتها[٦]، ونلاحظ أن قبيلة خثعم ليست من سكان جرش، وإنما سكانها عشائر عنز والعواسج[٧] ومنبه بن

---

(١) ابن سعد : المصدر السابق، ج١، ص ٣٢٥، المسجد النبوي : طول المسجد النبوي في صدر الإسلام (٣٠٠) ذراع وعرضه (٢٠٠) ذراع، وحول المسجد زروع ونخيل، وللمنبر (٨) درجات يقعد الخطيب على السابعة، أو الثامنة. حيث كان وقوف النبي ﷺ، والمحراب يميل وسط الجدار نحو الشرق بحوالي عشرين ذراعاً" انظر: سعد زغلول عبد الحميد : العمارة والفنون في دولة الإسلام . (دار المعارف، الإسكندية، د . ت) ، ص ٤٦، ٤٧ .

(٢) ابن سعد، ج١، ص ٣٢٥، محمد أمين صالح، ص ٤٧

(٣) انظر : ابن سعد، الطبقات، ج١، ص ٣٢٥ .

(٤) الأزد : تنسب إلى الأزد بن الغوث بن النبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يعرب بن يشجب بن قحطان، وبطون الأزد كثيرة منها الأوس والخزرج وخزاعة ومازن، وبارق وألمع، والحجر، وراسب، وغامد وزهران، وعك، ودوس عشيرة أبي هريرة رضي الله عنه فلما خرب السد تفرقوا في البلدان انظر: " إبراهيم المقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، ص ١٩، ٢٠ .

(٥) ابن سعد، ج١، ص ٣٣٨، الطبري، ج٣، ص ١٣٠، ابن الأثير، ج٢، ص٢٩٥، ابن كثير، ج٥، ص ٧٤ .

(٦) وفد الأزد، هم وفد جرش، وكانوا من أكثر الوفود تأثيراً في أهل السراة، وربما ذلك لأهمية مخلاف جرش موطنهم الرئيس .وللمزيد عن هذه الوفود منذ خروجهم من جرش (عسير حالياً) حتى رجوعهم إليها، انظر: ابن سعد، الطبقات، ج١، ص٣٣٨، الطبري، تاريخ، ج٢، ص ١٣٠، ابن كثير، البداية، ج٥، ص ٧٤، محمد كرد علي، الإسلام والحضارة العربية (القاهرة، ١٩٦٨م)، ص ٩٤، عصام الفقي، ص٢٨.

(٧) سكان جرش قبيلة عنز ويترأس فيها العواسج من أشراف حمير من ولد يريم ذي مقار القيل. ولهم سؤود ورفعة هناك، انظر: الهمداني : الإكليل، ج١، ص ٢٨٤ .

أسلم وغيرهم[١]، وأغلب الظن أن الخثعميين انتقلوا إلى جرش، عندما علموا بوصول قوات الرسول ﷺ إلى بلاد السراة لمحاربة المشركين فيها وعلى رأسهم قبيلة خثعم[٢].

د ـ نجران والإسلام :

١ـ إسلام القسم الوثني :

كانت نجران مستقلة بشؤونها يديرها سادتها وأشرافها ولها نظام سياسي وإداري خاص تخضع له[٣]، وسكانها ينقسمون إلى ثلاثة أقسام : مسيحيين[٤]، ويهود[٥]، ووثنيين[٦]، وبالرغم من حرص اليهود ونصارى نجران على دينهم[٧]، فقد أسلم بعضهم[٨]، بينما استمر القسم الوثني على حاله، في الوقت الذي نشط فيه الرسول ﷺ والمسلمون في نشر الإسلام في الجزيرة العربية ومن ضمنها نجران[٩]، ويشير ابن هشام إلى أن رسول الله ﷺ عهد إلى خالد بن الوليد سنة (١٠هـ/٦٣١م)[١٠]، وأمره أن يدعو النجرانيين إلى الإسلام ثلاث مرات قبل أن يشتبك معهم في أي قتال، فإن قبلوا الإسلام، علمهم شرائعه وسننه وإن رفضوا قاتلهم[١١].

---

(١) منبه بن أسلم : هو منبه بن أسلم بن زيد بن الغوث بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد الشمس بن وائل بن الغوث بن الهميسع بن حمير بن سبأ، انظر: ياقوت، معجم، ج٢، ص ١٢٦ .

(٢) خثعم من قبائل السراة الرئيسة التي تصدت لدعوة الإسلام، ولم تدخل الديار الخثعمية في حوزة الإسلام إلا بعد حروب عديدة، انهزم فيها المشركون، ومن ثم أصبحت أرض السراة بلاد مسلمة يسود فيها شرع الله . أما الازد فقد وفد منهم وفد آخر على رسول الله ﷺ في المدينة فاستقبلهم الرسول ﷺ وقال لهم (مرحباً بكم أحسن الناس وجوهاً، وأصدقه لقاءً، وأطيبه كلام، ، وأعظمه أمانة، أنتم مني وأنا منكم، وحمى لهم حمى حول قريتهم على أعلام معلومة) . انظر : ابن سعد، ج١، ص٣٣٨، محمد حميد الله، ص ٢٨٩ـ ٢٩٠ . وللمزيد عن تاريخ قبيلة خثعم في الجاهلية وصدر الإسلام، انظر : رسالة دكتوراه للطالبة خلود بنت عبد الباقي إبراهيم البدنة، قبيلة خثعم منذ ظهور الإسلام إلى نهاية العصر العباسي الأول . دراسة سياسية حضارية (١ـ١٣٢هـ/٦٢٢ـ٨٤٦م) قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الدمام (١٤٣٣ـ٣٢هـ /١١ـ٢٠١٢م) ص ٥٨ وما بعدها .

(٣) فاطمة مصطفى عامر: نجران في العصر الجاهلي وفي عصر النبوة، ص ٢٦ ،جواد علي، ج٣، ص ٥٣٢ .

(٤) عون الشريف قاسم، نشأة الدولة الإسلامية (الطبعة الثانية، دار الكتب المصري، القاهرة، ١٩٨١م) ص ١٢٧.

(٥) ذكر أحمد أمين أن اليهودية كانت منتشرة في بني الحارث بن كعب بنجران، انظر: فجر الإسلام، ص ١٠٧ .

(٦) كانت الحياة الدينية في الجزيرة العربية قبل الإسلام بدائية، فلقد اعتقد الأقدمون أن الطبيعة حولهم مشحونة بقوى أعظم من قوى الإنسان، ولكن بالإمكان تسخيرها لخدمته بطرائق خاصة، وتمثلوا هذه القوى روحاً بشرية ذات طاقات خطيرة، والواقع أن الوثنيين اعتبروا الأشجار والكهوف والينابيع والحجارة العراض على الخصوص مأهولة بالأرواح، ومن هنا قدس العرب القدماء ضروباً من الحجارة انظر: كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية (نقله إلى العربية نبيه فارس، منير البعلبكي، ط بيروت) ص ١٢٧ .

(٧) انظر: لويس شيخو، النصرانية وأدبها، ص١٢٨، جلال مظهر: محمد رسول الله وسيرته وأثره في الحضارة الغربية، ج١، ص ٣٨٠ .

(٨) يروي ابن سعد أن السيد والعاقب، عادا ثانية من نجران إلى المدينة حيث اعتنقا الإسلام وأديا الشهادتين أمام رسول الله ﷺ، وقد أنزلهم دار أبي أيوب الأنصاري، انظر: الطبقات، ج٢، ص ٣٥٨ .

(٩) عون الشريف قاسم الشريف، ص١٦١، جلال مظهر، ص ٣٨٠ .

(١٠) انظر : السيرة، ج٢، ص ٥٣٢، وللمزيد انظر: الطبري، ج٣، ص ١٢٦، ابن خلدون، ج٢، ص ٥٣، ابن جريس، نجران، ج١، ص ٦٨ وما بعدها .

(١١) الطبري، ج٣، ص١٢٦، ابن الأثير، ج٢ ص٩٩، ابن خلدون، ج٢، ص٥٣ .

والملاحظ أن الأساليب المتبعة من خالد بن الوليد مع أهل نجران وبخاصة بني الحارث ابن كعب تنطوي على الشدة والعنف واستعراض القوة، وتذكر بعض المصادر أنه بعث الركبان يضربون في كل وجه وأخذ يدعوهم إلى الإسلام ويقولون " أيها الناس أسلموا تسلموا فأسلم الناس "[١]، وعندما دخلوا فيما دعاهم إليه أقام خالد بينهم يشرح لهم فضائل الإسلام وما جاء في القرآن الكريم، ويعلمهم سنن النبي ﷺ كما أمره الرسول ﷺ[٢]، ثم كتب خالد إلى رسول الله ﷺ قائلاً: " السلام عليك يا رسول الله، أما بعد، يارسول الله ﷺ بعثتني إلى بني الحارث بن كعب وأمرتني إذا أتيتهم ألا أقاتلهم ثلاثة أيام، وأن أدعوهم إلى الإسلام، فإن أسلموا قبلت منهم وعلمتهم تعاليم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه، وإن لم يسلموا قاتلتهم، وإني قدمت عليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام كما أمرني رسول الله، وبعثت فيهم ركباناً قالوا يا بني الحارث أسلموا تسلموا فأسلموا ولم يقاتلوا، وأنا مقيم بين أظهرهم وآمرهم بما أمرهم الله به وأنهاهم عما نهاهم الله عنه، وأعلمهم تعاليم الإسلام، وسنة النبي حتى يكتب إلى رسول الله، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته "[٣].

وكانت مكاتبة خالد لرسول الله ﷺ بإسلام القسم الوثني مبعث سعادة له (عليه أفضل الصلاة والسلام)، ولاسيما أنه القسم الوحيد بين سكان نجران الذين استجابوا للإسلام، ثم كتب الرسول علية السلام إلى خالد يستدعيه إلى المدينة في صحبة وفد من مسلمي نجران فقال: " بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد النبي رسول الله إلى خالد بن الوليد سلام عليك فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإن كتابك جاءني مع الرسول تخبر أن بني الحارث ين كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم وأجابوا إلى مادعوتهم إليه من الإسلام، وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأن قد هداهم الله بهداه، فبشرهم وأنذرهم، وأقبل وليقبل معك وفدهم، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته "[٤].
وقدم خالد بن الوليد إلى المدينة بصحبة وفد نجران برئاسة قيس بن الحصين بن يزيد بن شداد ويقال له ابن ذي الغصة[٥]، وعدد من زعمائهم، مثل يزيد بن عبد المدان، ويزيد بن المحجل، وعبد الله بن قراد الزيادي، وشداد بن عبد الله القناني، وعمرو بن عبد الله الضبابي، وقد أحسن الرسول ﷺ استقبلهم ونطقوا أمامه بالشهادتين[٦].

---

(١) الطبري، ج٣، ص ١٢٦ .

(٢) ابن هشام، ج٢، ص ١٣٣، الطبري، ج٣، ص ١٢٦، ابن الأثير، ج٢، ص٢٠٠، ابن خلدون، ج٢، ص ٥٣ .

(٣) انظر: ابن هشام، ج٢، ص ١٣٣، الطبري، ج٣، ص ١٢٦، ١٢٧، عون الشريف قاسم، ص١٦١، ابن جريس، نجران، ج١، ص ٦٨ وما بعدها .

(٤) ابن هشام، ج٢، ص١٣٣، الطبري، ج٣، ص١٢٧، ابن كثير، ج٥، ص ٩٨، فاطمة مصطفى عامر، ص٢٧، ابن جريس، نجران، ج١، ص٦٨ وما بعدها .

(٥) ذو الغصة : يسمى بذلك لغصة في حلقه لا يكاد يبين منها واسمه الحسين بن زيد بن شداد الحارثي، ذكره عمر بن الخطاب يوماً فقال لا تزاد امرأة في صداقها عن كذا وكذا ولو كانت بذي الغصة، ابن هشام، ج٢، ص١٣٣ .

(٦) انظر : ابن هشام، ج٢، ص ١٣٣، الطبري، ج٣، ص ١٢٧، ابن خلدون، ج٢، ص٥٣، عون الشريف قاسم، ص١٦٢، فاطمة مصطفى، ص٢٧، ابن جريس، نجران، ط١، ص ٦٨ وما بعدها .

وتشير بعض المصادر التاريخية إلى أنه دار حديث بين رسول الله ﷺ وملوك نجران المذحجيين، نسبة إلى قبيلة مذحج، وقد سألهم أنتم الذين إذا زجروا استقدموا وكرر عليهم السؤال ثلاث مرات دون أن يجيب أحدهم إلا في المرة الرابعة، إذ قال يزيد بن عبد المدان نعم يارسول الله [١]، فقال رسول الله : لو أن خالداً لم يكتب إلي أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا لألقيت رؤوسكم تحت أقدامكم، فأجاب يزيد إنا والله ما حمدناك ولا حمدنا خالداً قال رسول الله فمن حمدتم ؟ قال : " حمدنا الله الذي هدانا بك يا رسول الله"[٢]. هكذا كان الوفد يحسن القول والرد على رسول الله ﷺ وقد سألهم عليه الصلاة والسلام " كيف كانوا يغلبون عدوهم ؟ فعلم منهم أن ذلك كان يتم باجتماعهم في إطار واحد، وعدم تفرقهم وأنهم كانوا لا يبدأون بظلم " [٣]. وتذكر المصادر التاريخية المبكرة أن رسول الله ﷺ منحهم عشر أواق، وزاد قيس ابن الحصين فأجازه باثنتي عشرة أوقية، وجعله أميراً على بني الحارث بنجران وعاد الوفد إلى نجران سنة (١٠هـ/٦٣١م)، ثم أرسل الرسول ﷺ معهم عمرو بن حزم يفقههم في الدين ويعلمهم شرائع الإسلام وفرائضه والسنن والأحاديث النبوية حتى يكونوا على وعي بأمور الإسلام وكتب له في ذلك كتاب[٤].

٢. معارضة القسم المسيحي للإسلام :

كما مر معنا في الصفحات السابقة، أن القسم الوثني بايع الرسول ﷺ على الإسلام، أما القسم المسيحي فقد رفضوا دخول الإسلام واحتفظوا بدينهم، فكتب إليهم رسول الله ﷺ : " من محمد رسول الله إلى أساقفة نجران بسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب: أما بعد، فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية، وإن أبيتم أذنتكم بحرب والسلام " [٥]. ولما تسلم الأسقف هذا الكتاب ذعر ذعراً شديداً، واستشار كبار رجال نجران في الأمر، واستقر الرأي على خروج وفد منهم للقاء رسول الله ﷺ في المدينة[٦] .

وتشير بعض الروايات إلى أن الوفد يتكون من ستين راكباً، وفي رواية أخرى من سبعين راكباً، وعلى رأس الوفد أربعة عشر من أشرافهم، ويتزعم الوفد ثلاثة نفر يؤول إليهم أمرهم هم: العاقب والسيد والأسقف، والعاقب اسمه عبد المسيح وهو صاحب مشورتهم، وكان

---

(١) الطبري، ج٣، ص ١٢٧ ـ ١٢٨، ابن كثير، ج٥، ص١٩٩، ابن خلدون، ج٢، ص٥٤، فاطمة مصطفى عامر، ص٢٨، ابن جريس، نجران، ج١، ص٦٩ .

(٢) انظر : ابن سعد، ج٣، ص٣٤٠، الطبري، ج٣، ص١٣٤، ابن جريس، نجران، ج١، ص ٦٩ ـ ٧٢ .

(٣) المصادر والمراجع نفسها، ، انظر أيضاً، ابن كثير، ج٥، ص ١٩٩، ابن خلدون، ج٢، ص ٥٤ .

(٤) المصادر والمراجع نفسها، انظر أيضاً البلاذري، فتوح البلدان، (دار الكتب العلمية، بيروت د. ت)، ص ٨٠ ، عمر رضا كحالة، معجم القبائل، ج٢، ص ٥٠٦، عون الشريف، ص ١٦٢، فاطمة مصطفى، ص ٢٨ .

(٥) انظر : الطبري، ج٣، ص١٢٦، ابن خلدون، ج٢، ص ٥٣، فاطمة مصطفى عامر، ص٣٠، نجران، ج١، ص٨١، الفقي، ص ٢٥٣ .

(٦) المصادر والمراجع نفسها .

ثمالهم أي الملجأ والغياث، واختصاصه تولي الأمور الداخلية[١]، أما السيد فاسمه الأيهم، وفي بعض الروايات الأتهم، وهو صاحب رحلتهم، وكان اختصاصه مثل رؤساء القبائل فهو رئيسهم في الحرب، وهو الذي يدير أمورهم الخارجية ويتولى أمور العلاقات بينهم وبين القبائل الأخرى، أما الأسقف فهو أبو حارثة بن علقمة، ويعد أسقفهم وأمامهم ويختص بالأمور الدينية [٢]، ونلحظ أن وفد نجران يتميز بنظام إداري دقيق ويرجع ذلك إلى ماضيهم العريق في مجال الحكم والسلطان، حيث كان يحكم نجران ملوك العرب من بني الديان [٣].

ويشير البلاذري إلى أن وفد نصارى نجران رفض الإسلام وقبل الجزية فكانت أول جزية في الإسلام[٤]، ويرجع رفض نصارى نجران للإسلام لأسباب داخلية وخارجية، ومن الأسباب الداخلية، الحرص على ما بلغوه من ملك، فهم المذحجيون أهل الملك والسلطان، وكانوا ملوك نجران، وهم الذين بنوا كعبة نجران وعظموها مضاهاة للكعبة الشريفة وسموها كعبة نجران[٥]، وأغلب الظن أن المحافظة على الملك في نجران يعد من أهم العوامل التي دفعتهم إلى رفض الإسلام .

أما علاقة نصارى نجران الخارجية، فقد كانت نجران مرتبطة بوشائج وثيقة بالقوى المسيحية في العالم وهي الروم والحبشة، وذكر أحمد أمين أنه كان في نجران إدارة متخصصة في العلاقات الخارجية يرأسها السيد[٦]، ويشير ابن هشام إلى أن أباطرة الروم كانوا على اتصال بنصارى نجران يساعدونهم ويمولونهم، ويرسلون لهم الهدايا والأعطيات، وكانوا يمدونهم بالعمال والأموال، والخامات اللازمة لبناء الكنائس في نجران[٧]، وكانوا يكرمون من نبغ منهم في علوم الدين مثل أبي حارثة[٨]، الذي درس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم مما دفع ملوك الروم إلى أن شرفوه ومولوه وبنوا له الكنائس وبسطوا عليه الكرامات [٩]، ودعم روما لنصارى نجران لا ينطلق من وجود أقطاب المسيحية بها فحسب، بل كانوا يسعون إلى تحقيق مصالح لهم في اليمن بعد أن فشل السيف في تحقيق أطماعهم السياسية والاقتصادية [١٠]، بالإضافة إلى غنى منطقة نجران الاقتصادية حيث يوجد فيها أنواع متنوعة من الزراعة، فضلاً عن صناعة الأنسجة

---

(١) للمزيد انظر:ابن هشام، ج٢، ص ١٥٨، ابن كثير، ج٥، ص ٥٦، ابن جريس، نجران، ج١، ص٨٢ - ٨٣.
(٢) ابن هشام، ج٢، ص ١٥٨، ابن كثير، ج٥، ص٥٦، أحمد أمين، ص٢٦ .
(٣) الهمداني، الإكليل، ج١، ص٢٦، عمر رضا كحالة، ج١، ص ٢٣١.
(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١١٤ .
(٥) انظر : البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص ٦٠٢، أحمد أمين، ص٢٦، فاطمة مصطفى عامر، ص ٨ .
(٦) أحمد أمين، فجر الإسلام، ص ٢٦ .وللمزيد عن تاريخ النصارى في نجران، انظر: ابن جريس، نجران، ج١، ٨٣ وما بعدها .
(٧) ابن هشام، ج٢، ص ١٥٩ .
(٨) أبو حارثة : هو أبو حارثة بن علقمة وهو من بني بكر بن وائل، انظر: ابن كثير، ج٥، ص ٥٦ .
(٩) المصدر نفسه، ج٥، ص ٥٦.
(١٠) البلاذري : ص٧٥ ، مهران، تاريخ العرب القديم، ص ٣٧٠ .

الحريرية والحلل اليمنية التي تغنى بها الشعراء، وكانت أيضاً قريبة من الطريق التجاري الذي يمتد إلى الحيرة وما جاورها[١].

ولاشك أن الخوف من ضياع المكاسب السياسية والاقتصادية التي اكتسبها نصارى نجران من الرومان كان الدافع الرئيس لرفضهم الإسلام، ولذلك أجمع الوفد قبل مقابلة الرسول ﷺ على معارضته، على الرغم من إيمانهم بالرسول فعلى سبيل المثال أبو حارثة الذي كتم إيمانه في قلبه خوفاً من ضياع هذه المكاسب التي يحصلون عليها من الروم[٢]، ونظراً لعلاقات نصارى نجران الخارجية فقد حدث صدام فكري مع الرسول ﷺ، ويتضح ذلك عندما عرض عليهم رسول الله ﷺ الإسلام فقالا : " إنا قد أسلمنا قبلك فقال: كذبتما يمنعكما من الإسلام أكلكما الخنزير، وعبادتكما الصليب، وقولكما لله ولداً، وفي رواية أخرى أن النبي ﷺ عندما دعاهم إلى الإسلام رفضوا وكثر الكلام والجدل بينهم [٣]، وذكر ابن هشام أن أحبار اليهود ذهبوا إلى الرسول ﷺ بعد علمهم بمقدم نصارى نجران، وتنازعهم معه، وقالوا لهم ما أنتم على شيء، وكفروا بعيسى والإنجيل، فأنكر أحد نصارى نجران نبوة موسى وكفروا بالتوراة [٤]، وهكذا أخذ كل فريق يشهد على ضلال الفريق الثاني فنزل فيهم قول الله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾[٥]. وبذلك يصبح لزاماً عليهم اتباع العقيدة التي قررها الإسلام والتي بها وحدها يتحد الجميع في الطريق المستقيم، ويتخلصون من شقاقهم إذا كانوا راغبين في الحق[٦]، ويشير أحد المصادر المبكرة إلى أن الأمر لم يكن قاصراً على الشقاق والنزاع بينهم بل بلغ درجة كبيرة من الجهل والكفر، حتى إن أبا رافع النجراني قال لرسول الله ﷺ " تريد منا يا محمد أن نعبدك كما نعبد عيسى " فقال : معاذ الله أن آمر بعبادة غيره[٧]، فأنزل الله تعالى﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[٨].

وقد امتد الجدل بين الرسول ونصارى نجران حول عيسى عليه السلام فسألوه عنه، فقال رسول الله ﷺ ما عندي فيه شيء، فانتظروا حتى أخبركم بما يقول الله

---

(١) للمزيد انظر: أحمد أمين، ص ٢٦ .

(٢) انظر : ابن هشام، ج٢، ص١٥٩، ابن كثير، ج٥، ص ٥٦، جواد علي، ج٣، ص ٥٣٣، ابن جريس، نجران، ج١، ص ٨٤ وما بعدها .

(٣) ابن هشام، ج٢، ص ١٦٠، ابن سعد، ج١، ص ٣٥٧، البلاذري، فتوح، ص ٧٥ .

(٤) انظر : ابن هشام، السيرة، ج٢، ص ١٤١ .

(٥) سورة البقرة، آية (١١٣)، للمزيد انظر محمد عزة دروزة . تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص٤٨٦ وما بعدها.

(٦) المرجع نفسه .

(٧) ابن هشام، ج٢، ص ١٦٠ .

(٨) سورة آل عمران، الآية (٧٩) . وللمزيد عن تاريخ نصارى نجران ومباهلتهم مع الرسول ﷺ، انظر : ابن جريس، نجران، ج١، ص ٨١ وما بعدها .

في عيسى[١]، فأنزل الله عز وجل قوله ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴾[٢]، وسرعان ما أدرك الرسول ﷺ أن جدالهم لا يهدف إلى فهم الإسلام بقدر ما يهدف إلى التشكيك فيه وإنكاره، كما أنكروا التوراة ونبوة موسى فدعاهم إلى المباهلة معه، فقالوا له قد رأينا أن نتركك على دينك ونرجع إلى ديننا واحكم علينا بما أحببت أن نعطيك أو نصالحك[٣]، فصالحهم على ألفي حلة، ألف في رجب، ومثلها في صفر بالإضافة إلى أن يضيفوا رسل الله ﷺ شهرا فما دونه[٤]، وهكذا استمر نصارى نجران على نصرانيتهم بعد دخول معظم قبائل نجران وتهامة والسراة في الإسلام[٥].

٣. المرتدون في اليمن ونجران وتهامة والسراة في عصر الرسول ﷺ:

يعتبر خروج الأسود العنسي (عبهلة) في اليمن ونجران والسروات صورة من صور المعارضة للحكم الإسلامي، وكان خروجه من كهف خبان[٦] في السنة (١٠هـ/٦٣١م)[٧]، ومعه سبعمائة فارس من أبناء اليمن ونجران[٨]، والظاهر أن ثورته سبقها تخطيط جيد من العنسي عندما أخذ يجري اتصالات مع القوى المعارضة للرسول ﷺ ومن هذه القوى بعض سكان نجران من قبيلة مذحج الذين كاتبوه وكاتبهم وكان موعدهم نجران[٩]، وقد تمت هذه الاتصالات في ظروف ملائمة

---

(١) ابن هشام، ج٢، ص ١٦٠ .

(٢) سورة آل عمران .الآيات (٥٩، ٦٠، ٦١) .

(٣) البلاذري : فتوح البلدان، ص ٧٥ ـ ٧٦ .

(٤) وكتب الرسول ﷺ مع نصارى نجران صلحاً، قال فيه " بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما كتب النبي محمد رسول الله ﷺ لأهل نجران، إذا كان عليهم حكمه في كل ثمرة، وفي كل صفراء وبيضاء ورقيق، فأفضل ذلك عليهم، وترك ذلك كله لهم، على ألفي حلة من حلل الأواقي، في كل رجب ألف حلة، وفي صفر ألف حلة، كل حلة أوقية من الفضة، فما زادت على الخراج، أو نقصت عن الأواقي فبالحساب، وما قضوا من دروع، أو خيل ،أو ركاب، أو عروض أخذ منهم بالحساب، وعلى نجران مؤنة رسلي ومتعتهم ما بين عشرين يوماً فما دون، ولا تحبس رسلي فوق شهر، وعليهم عارية ثلاثين درعاً، وثلاثين فرساً، وثلاثين بعيراً وما هلك مما أعاروا رسلي من دروع او خيل فهو ضمين على رسلي حتى يؤدوه إليهم، ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أموالهم وأنفسهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، لا يغير أسقف من أسقفيته، ولاراهب من رهبانيته، ولا كاهن من كهانته ولا يحشرون ولا يعشرون، ولا يطأ أرضهم جيش، ومن سأل منهم حقاً فبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين، ومن أكل ربا من ذي قبل فذمتي منه بريئة، ولا يؤخذ رجل منهم بظلم آخر، وعلى ما في هذا الكتاب جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله حتى يأتي الله بأمره، فانصحوا وأصلحوا ما عليهم غير مثقلين بظلم" .انظر: البلاذري، فتوح، ص٧٦ ابن سعد، ج١، ص٣٥٨، ابن كثير، ج٥، ص٥٥، ابن جريس، نجران، ج١، ص ٨٨ ـ ٨٩، محمد حميد الله، ص ١٧٥ ـ ١٧٦ .

(٥) انظر: لويس شيخو، النصرانية وآدابها، ص ١٢٨، ابن جريس، نجران، ج١، ص ٨٩ .

(٦) خبان : أرض أسفل نجران من ديار مراد وإليها ينسب كهف خبان وهو الكهف الذي مات فيه مرقش الأكبر، البكري، معجم، ج١، ص ٤٨٥ .

(٧) الطبري، ج٣، ص ٢٢٩، ابن خلدون، ج٢، ص ٦٠ .

(٨) انظر الطبري، ج٣، ص ١٥٨، ابن الأثير، الكامل، ج١، ص ٢٢٧ .

(٩) عصام الفقي، المرجع السابق، ص ٣٨ .

ساعدتها على النجاح، وذلك في أثناء مرض الرسول ﷺ حيث تمكن العنسي من إعداد نفسه إعدادا جيدا، وبالتالي تمكن من مواجهة المسلمين والانتصار على عمال الرسول ﷺ في بلاد اليمن والسراة، ولاشك أن نجاح هذه الاتصالات ذات مدلول سياسي هام، وهو نجاح هذا الثائر المرتد (العنسي) في بعث المشاعر التحررية داخل نفوس أتباعه ضد التدخل الأجنبي، نظرا لأنه يدعو إلى التخلص من الأبناء[١]، وهم رمز التدخل الأجنبي الذي قاسوا منه سنين طويلة، إلى جانب المسلمين وهم دخلاء أيضا حسب اعتقاده، والواقع أن الأسود العنسي لم يكن مجرد ثائر مرتد، وإنما كان الرهان الذي يعول عليه، هم أبناء اليمن والسراة ووقوفهم ضد أي تدخل خارجي.

وتعتبر نجران هي المحطة الأولى بعد خروج العنسي من كهف خبان، وبعد أن انضم إليه بعض ثوار مذحج ونجران استطاع السيطرة على الديار النجرانية [٢]، ثم ذهب إلى صنعاء[٣]، واشتبك مع واليها شهر بن باذان[٤]، وهزمه وقتله[٥]، ونلاحظ أن تسلسل الأحداث في ثورة الأسود العنسي ربما تؤكد حقيقة هامة، وإن كانت غير ثابتة في المصادر التاريخية، وهي أن هناك مؤامرة بين بعض عشائر اليمن والسروات على محاربة عمال الرسول ﷺ والإطاحة بهم، ثم طردهم من الأوطان اليمنية والسروية، وكانت إشارة البدء في عملية التآمر هي خروج العنسي من خبان إلى نجران [٦]، وإخراجه عمرو بن حزم وخالد بن سعيد منها، ثم ذهابه إلى صنعاء والسيطرة عليها [٧]، وقد امتد نفوذه ما بين صنعاء وحضرموت إلى الطائف[٨]، وأشار الطبري إلى أن ثورة الأسود العنسي شملت أيضا البحرين والإحساء، وعدن، وعثر، والشرجة، والجند، ودخلت اليمن بكاملها تحت سيطرته[٩] .

ونلاحظ أن قادة الجيوش التي جعلت أمر الأسود في صعود حتى سيطر على بلاد اليمن، يرجع أصلها إلى بلاد السراة، مثل قيس بن عبد يغوث المرادي قائد الجيش ونائبه، ومعاوية بن قيس الجنبي، ويزيد بن الأفكل الأزدي، وبذلك حققت حركة العنسي أهدافها بفضل القوات العسكرية التي شكلت النواة الأساسية في الجيش، التي اعتمد عليها في طرد الولاة المسلمين وإعادة السيادة للعنصر اليمني، ونتيجة لذلك أخذ الأسود العنسي يستمتع بنصره وينظم ملكه، ويقيم القواد على الجيوش، والعمال على الإمارات، وكان

---

(١) ذكر عصام الفقي أن الأبناء هم أبناء الفرس في اليمن، انظر: اليمن في ظل الإسلام، ٣٨ .

(٢) لمزيد من التفصيلات انظر : البلاذري، فتوح، ص١١٤، الطبري، ج٣، ص ٣٢٩، ابن خلدون، ج٢، ص ٦٠، عصام الفقي، ص ٣٧ ـ ٣٨ .

(٣) انظر: الطبري، ج٣، ص ٢٢٩، ابن خلدون، ج٢، ص ٦٠ .

(٤) ذكر الطبري، أن شهر بن باذان كان يتولى اليمن قبيل وفاة الرسول ﷺ، ولما توفي باذان عهد الرسول ﷺ حكم اليمن إلى عدد من الولاة، تاريخ الطبري، ص٣٧ .

(٥) انظر: البلاذري، ص ١١٤، القلقشندي، ص٢٤، ابن خلدون، ج٢، ص٦٠ .

(٦) للمزيد عن حروب الأسود العنسي ضد المسلمين في نجران واليمن انظر، البلاذري، ص ١١٤، الطبري، ج٣، ص ٢٢٩، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢٢٨، ابن خلدون، ج٢، ص٦٠ .

(٧) الطبري، ج٣، ص ٢٢٩، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢٢٨.

(٨) ابن خلدون، ج٢، ص ٦٠ .

(٩) الطبري، ج٣، ص٢٣٠، للمزيد انظر ابن خلدون، ج٢، ص ٦٠، عصام الفقي، ص٣٨ .

لأبناء السراة نصيب الأسد من المناصب التي قسمها الأسود العنسي على رجاله، حيث كان خليفته على مذحج عمرو بن معديكرب، وعين على جنده قيس بن عبد يغوث، وأسند أمر الأبناء إلى فيروز، وداذويه[١] .

والسؤال الذي يطرح نفسه ما هو موقف المسلمين، وعمال الرسول ﷺ، والرسول نفسه وهو على فراش الموت ؟ أما موقف المسلمين فقد عجزت قواتهم عن مواجهة الكثرة العددية لقوات الأسود العنسي، فكان لاسبيل لهم إلا الهرب، وتشير بعض المصادر التاريخية إلى أنه بعد أن سيطر العنسي على أرض السروات من نجران حتى الطائف، أخذ المسلمون يفرون من بلاد اليمن، بما فيها السراة حتى لا ينالهم بطشه، أما عن الولاة فقد أثارت حركة هذا المرتد الرعب في قلوبهم، فدفعتهم إلى مسالك متنوعة، وتذكر بعض الروايات إلى أن بعض أمراء السراة اتجه إلى الطاهر بن أبي هالة في بلاد عك، بينما رجع عمرو بن حزم وخالد بن سعيد بن العاص إلى المدينة، ثم وثب قيس بن يغوث قائد جيش العنسي على فروة بن مسيك وهو على (مراد وزبيد ومذحج) فأجلاه وحل محله[٢]، ومن ثم فقد انكمش الحكم الإسلامي في اليمن والسروات، وبسط العنسي سيطرته، وأقام ملكه في صنعاء.

ويبدو أن ابن الأثير جانبه الصواب في قوله بأن العنسي، غزا نجران، مع أنه لم يكن هناك حرب بين نجران والأسود العنسي، ولم يكن هناك أي عداء بينهم، وإنما بعضهم وعده بالمناصرة كما يروي ابن الأثير نفسه [٣]، فكيف يكون غزاها ؟، ومن الذي تصدى له في نجران ؟ وأين كانت الحرب؟ وتؤكد بعض المصادر أن أنصار العنسي في نجران هم الذين أخرجوا عمرو بن حزام وخالد بن سعيد، ولهذا كانت نجران هي المحطة الأولى لهذا الثائر الكذاب[٤].

أما موقف النبي ﷺ عندما بلغه خروج العنسي لقتال المسلمين، ومناصرة سكان نجران له، رأى ضرورة التخلص منه، فكتب ﷺ إلى بعض أمراء وشيوخ المسلمين بمدن اليمن وقرى السروات يدعوهم إلى جهاد الأسود العنسي، والقضاء على حركته، بأية وسيلة، ويقول بعض أولئك الأمراء فجاءتنا كتب النبي ﷺ يأمرنا بقتاله ـ يقصد العنسي ـ أما غيلة وإما مصادمة، وأن نكاتب من عنده دين [٥]، ويذكر الطبري أن رسول الله ﷺ كتب إلى أهل نجران (فثبتوا) ، فتنحوا، وانضموا إلى مكان واحد[٦] ، وكان لرسالته

---

(١) للمزيد انظر : الطبري، ج٣، ص٢٣٠ وما بعدها، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص ٢٣٧.

(٢) للمزيد: انظر البلاذري، ص ١١٣، الطبري، ج٣، ص ٢٢٧ـ ٢٣٠، ابن الأثير، الكامل في التاريخ ج٢، ص ٢٢٨، ابن خلدون، ج٢، ص ٦٠، القلقشندي، ص ٢٥ .

(٣) انظر ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢٢٨ .

(٤) انظر البلاذري، ص ١١٣، ابن خلدون، ج٢، ص ٦٠، القلقشندي، ص ٢٥ . والواقع أن حركة الأسود العنسي ما كانت لتنجح لولا مساعدة بعض عشائر السراة ورجالها من نجران إلى زُبيد ومذحج وغيرها.

(٥) الطبري، ج٣، ص ٢٣١ .

(٦) انظر : الطبري، تاريخ، ج٣، ص ٢٣٢ .

(عليه أفضل الصلاة والسلام) أثر السحر على أنصار العنسي من السروات، فخرج قيس بن عبد يغوث المرادي ونائبه من جيش العنسي وندما على مناصرتهما له[١]، كما تعاون بعض الأمراء المسلمين على إخماد حركته وقتله غيلة[٢]، وإذا ناقشنا بعض دوافع ثورة العنسي فسنجد أن العصبية القبلية ترفض تدخل أية جهة أجنبية في شؤونهم، وربما كانت أطماع هذا المرتد الثائر في الحكم هي أيضا سببا رئيسا في ثورته، وقد أشار العنسي نفسه في كتابه الذي بعث به إلى عمال الرسول ﷺ فقال: " عليهم أن يردوا ما بأيديهم فهم - يقصد هو وقومه - أولى به "[٣].

والمؤكد أن الإسلام حد من العصبية القبلية وخفف من غلوائها بين سكان المدينة المنورة لأن لها حظا وافرا من تعاليم الإسلام، فضلا عن وجود رسول الله ﷺ بينهم، بينما كانت بلاد نجران وتهامة والسراة وغيرها في الجزيرة العربية في منأى عن رسوخ قدم الإسلام فيها، لذلك ظلت العصبية القبلية حية متوقدة بين أهلها، وذلك لأن العصبية القبلية ضرورة في أرض السروات لدواع متعددة، لأن الناس فيها مفطورون على الصراعات، ودأبهم التخاصم والتنازع، فأهل المدن تضبطهم أحكام وقوانين، أما البدو فالحاكم بينهم مشايخهم وكبارهم، فإذا سطا عليهم عدو في منازلهم قام بالدفاع عنهم فتيانهم وشجعانهم، وهؤلاء لا يتأكد دفاعهم وبأسهم إلا إذا كانوا ذا عصبية تشتد بها شوكتهم ويخشى جانبهم، والواقع أن العصبية هي الوعاء الذي يجمع البدو، وأهل البلد الواحدة لابد لهم من جامعة تجمع أفرادها، وهذه الجامعة تختلف في الأمم باختلاف أحوالهم، فبعض الأقوام يجمعهم الوطن، وآخرون يجمعهم الدين، وغيرهم النسب واللغة، أما البدو فلا وطن لهم، وكانوا قبل الإسلام لادين لهم، ولم يكن لهم ما يجمعهم غير العصبية[٤].

رابعاً : صور من تاريخ نجران وتهامة والسراة في عصر الخلفاء الراشدين والأمويين :

١- ردة أهل نجران وتهامة والسراة في عهد الخليفة الراشد أبي بكر الصديق رضي الله عنه :

تشير بعض المصادر إلى أنه عقب وفاة الرسول ﷺ عام (١١هـ/٦٣٢م) ارتدت بعض عشائر السراة مثل: زُبيد، ومذحج، وخثعم، وعك، والأشعريين[٥]، وكان مظهر هذا الارتداد

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٣١ .

(٢) لمزيد من التفصيلات عن قتال العنسي وقتله انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢٢٨ .

(٣) حسن سليمان محمود : تاريخ اليمن السياسي، ص ٥٩ .

(٤) الباحث في تاريخ قبائل نجران وتهامة والسروات في الجاهلية وعبر التاريخ الإسلامي حتى منتصف القرن (١٤هـ/٢٠م) يجد أن القبيلة هي الآمرة الناهية في أوطانها، بل إن شيوخ القبائل هم أصحاب القول الفصل في أقوامهم، وأحيانا تتحالف بعض العشائر في حلف واحد من أجل الدفاع عن أوطانها وسكانها، وقد اطلعنا على مئات الوثائق خلال القرون الخمسة الماضية المتأخرة وبها مادة علمية كثيرة تؤكد ما تم الإشارة إليه، وإذا رجعنا إلى العصر الجاهلي، فوضع القبيلة كان أقوى وأشد من عصور الإسلام .

(٥) انظر: الطبري، ج٣، ص ٢٢٠، ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦، ص ٣٨، ٣١١ .

يتمثل في رفضهم الزكاة، لأنهم أيقنوا أنهم أصبحوا خاضعين لسلطة مركزية يؤدون إليها الزكاة وعليها رقابتهم، وهذا النظام لم يألفوه، لذلك خيل إليهم أن الزكاة ما هي إلا إتاوة، ومن ثم لم يجدوا مسوغاً لدفعها، فضلاً عن أنهم وجدوا في وفاة الرسول ﷺ فرصة للاستقلال والخروج عن سلطان قريش، لأن شخصيته كانت مناط الاستقرار في الجزيرة العربية[١].

والسؤال هل تنطبق مظاهر الردة على جميع قبائل نجران وتهامة والسراة؟، والواقع أن الردة في البلاد التهامية والسروية ونجران لم تكن تمثل عودة إلى الوثنية وعبادة الطاغوت كما كانوا من قبل، ولكن الردة كانت متنوعة بتنوع القبائل، ومن المبالغة إطلاق هذه التسمية على معظم السرويين والتهاميين والنجرانيين، إذ لم يحدث أن قبيلة ارتدت إلى ديانتها القديمة، كما أنهم لم يفكروا في العودة إلى الوثنية، بل إن الذي أشعل أشد حركات الردة في السراة في عهد الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه لم يدخل في الإسلام من الأساس مثل قيس بن عبد يغوث المرادي، ويتضح ذلك عندما طلب عمرو بن معديكرب الزُبيدي من قيس أن يذهب معه إلى الرسول ﷺ ليدخلا في الإسلام، فأنكر قيس على عمرو، وتوعده بكل شر إذا دخل في الإسلام [٢]، وعلى هذا الأساس لا يعتبر قيس بن عبد يغوث المرادي مرتداً، لأنه لم يدخل في الإسلام من الأساس، فكيف يعتبره بعض المؤرخين من المرتدين؟ فضلاً على أن هناك من انتظموا في صفوف حركة الردة بسبب توزيع المناصب، مثل عمرو بن معديكرب الزبيدي [٣].

ولا يجب أن نغفل أن إسلام قبيلة مذحج في نجران قد يكون إسلامها خوفاً من مواجهة جيش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد الذي أرسله الرسول ﷺ إليهم سنة (١٠هـ/٦٣١م)، بعد أن كاد ينتهي عام الوفود دون أن يرسلوا وفدهم لإعلان إسلامهم أمام الرسول ﷺ[٤]، ونستدل على ذلك بقول الرسول ﷺ لهم: (أنتم الذين إذا زجروا استقدموا، حيث كررها عليهم ثلاث مرات دون إجابة، وفي الرابعة أجاب سيد وفدهم يزيد ابن عبد المدان، نعم يا رسول الله نحن الذي إذا زجرنا استقدمنا"[٥]. قال رسول الله

---

(١) انظر: أدور فانديك: تاريخ العرب وآدابهم الجامعية (ط الأولى ببولاق مصر سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٣م) ص٣٦، سامية توفيق وآخرون، عصر الخلفاء الراشدين (القاهرة، ١٩٨٠م)، ص٧١، السيد عبد العزيز سالم .التاريخ السياسي والحضاري للدولة العربية (دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د. ت) ص ١٨١ .

(٢) للمزيد عن الردة والمرتدين في بلاد السروات انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص١١٤، الطبري، ج٣، ص١٣٢، ابن خلدون، ج٢، ص ٥٥ .

(٣) ذكر الأصفهاني أنه قدم عمرو في وفد مذحج مع فروة بن مسيك المرادي على النبي ﷺ فأسلموا وعندما استعمل الرسول ﷺ فروة بن مسيك على مراد وزُبيد ومذحج لم يلبث عمرو أن ارتد عن الإسلام وقال في ملك فروة :

وجدنا ملك فروة شر ملك ... حمار ساف منخره يقذر
وإنك لو رأيت أبي عمير ... ملأت يدك من غدر وختر

انظر، كتاب الأغاني (دار صعب، بيروت، د. ت) ج١٤، ص٢٥ .

(٤) للمزيد انظر: ابن هشام، ج٢، ص٥٣٢، الطبري، ج٣، ص١٢٦، ابن خلدون، ج٢، ص٥٣، جلال مظهر، ج١، ص٣٨٠، عون الشريف، ص١٦١ .

(٥) الطبري، ج٣، ص ١٢٧ .

ﷺ " لو أن خالد بن الوليد لم يكتب إلي فيكم أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا لألقيت رؤوسكم تحت أقدمكم "[١]، ويمكن القول إن إسلام بني الحارث بن كعب وغيرهم من المرتدين المذحجيين لم يكن عن يقين بقدر ما كان خوفا لأنهم ارتدوا عن الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ مناصرين للأسود العنسي[٢].

وكان موقف الأسود العنسي من الزكاة بمثابة الوقود الذي أشعل حركة الردة، ويتضح ذلك في رفضه إخراج الزكاة حيث يرى في ذلك رمزا لسيادة المسلمين على اليمن، وهذا النظام لم يألفوه، لذلك خيل إليهم أن الزكاة ما هي إلا إتاوة ولم يروا مسوغا لدفعها، فرأوا في موت الرسول ﷺ فرصة يتخلصون بها من الفروض الإسلامية خصوصا ما يتعلق منها بالمال كالزكاة[٣]، ومن الملاحظ أن ذلك كان حال معظم قبائل اليمن والسراة ففي الظاهر يخضعون للإسلام ولكن القلوب لم يتمكن منها الدين، ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿ ۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ ﴾[٤]، ولم تكن الزكاة السبب الوحيد للردة، بل كان هناك أسباب أخرى منها، عدم إشراك الرسول ﷺ بعض شيوخ نجران وتهامة والسراة في تولي أمر قبائلهم[٥]، وليس أدل على ذلك من موقف عشائر زبيد ومذحج، عندما عين عليهم فروة بن مسيك المرادي الذي اعتبروه أجنبيا عنهم[٦]. وتذكر بعض المصادر والمراجع إلى أن عمرو بن معديكرب، وقيس بن مكشوح انضما إلى الأسود العنسي بدافع الثورة والحصول على مكاسب مادية ومعنوية، حتى عندما قتل الأسود لم تهدأ ثورة بعض أبناء زبيد ومذحج، بل جعل فرسانهم يجوبون البلاد بين نجران وصنعاء، بهدف السيطرة عليهم[٧]. ويجب ألا نغفل طبيعة قبائل السراة التي تأبى أن تخضع لأحد، وعلى الرغم من أن الفرس بسطوا نفوذهم على اليمن إلا أنهم عجزوا عن بسط نفوذهم على الأوطان التهامية والسروية[٨].

ومن الأمثلة السابقة نستدل على أن حركة الردة بالنسبة لبعض قبائل نجران والسراة مثل مذحج وزبيد كانت حركة سياسية اتخذت الدين طريقا، وكانت تسعى إلى المطالبة بالسلطة، بدليل أنهم اعتبروا الزكاة نوعا من الإتاوة التي يؤديها المغلوب إلى الغالب فطالبوا بإعفائهم منها. والحقيقة أن عشائر نجران وتهامة والسراة لم يدركوا في المدة القصيرة

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٣٧٥، الطبري، ج٣، ص١٢٨ .

(٢) انظر : الطبري، ج٣، ص٢٢٩، ابن كثير، ج٦، ص ٣١٢ .

(٣) للمزيد انظر، عصام الفقي، ص٣٨، السيد عبد العزيز سالم، ص١٨٢، سامية توفيق، ص٧١، محمد الخضري بك . تاريخ الأمم الإسلامية (المكتبة التجارية، القاهرة، د.ت)، ج١، ص١٧٤ .

(٤) سورة الحجرات، الآية (١٤) .

(٥) انظر، الطبري، ج٣، ص٣١٩، الأصفهاني، الأغاني، ج١٤، ص٢٦، ابن كثير، ج٧، ١١٩ .

(٦) الطبري، ج٣، ص٣١٩، ٣٢٦، ٣٢٧، الأصفهاني، ج١٤، ص ٢٦ ، ابن كثير، ج٥، ص٧١ .

(٧) الطبري، ج٣، ص ٢٣٠، ٢٣٦، الأصفهاني، الأغاني، ج١٤، ص٢٦، النعمان عبد المتعال القاضي : شعر الفتوح في صدر الإسلام (الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٥م) ص ٢٠٢ . السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ص ١٨٢ .

(٨) جواد علي، قبل الإسلام، بغداد ١٩٨٠م، ج٣، ص ٥٣٢، السيد عبد العزيز سالم، التاريخ السياسي، ص ١٨٣ .

أبعاد الدين الإسلامي الوليد، فظنوا أنه مجرد طقوس دينية لا ليقيم دولة قويمة حنيفة[١]، ولم يكن من السهل على أصحاب النفوذ القديم أن يقبلوا سلطة الدولة الجديدة لأن هذه السلطة تمثل مصيبة على بعض سادات السروات مثل: قيس بن مكشوح المرادي، وعمرو بن معد يكرب، وشيوخ خثعم وغيرهم، الذين أبطل الإسلام سلطانهم الوثني القديم[٢].

ولا يجب أن نغفل أن نجاح الرسول ﷺ في فتح مكة المكرمة جذب بعض شيوخ اليمن ونجران والسروات إذ كانوا يحاكون الرسول ﷺ في أعماله لكي يصلوا إلى ما وصل إليه ﷺ من مجد وشرف، وذلك مثل ما حدث من الأسود العنسي، الذي ادعى النبوة في حياة الرسول ﷺ واتبعه بعض أبناء السراة واليمن عصبية وأنفة من سيادة قريش، تلك السيادة التي ظلت حيناً من الدهر في العهد الجاهلي[٣]، والحقيقة التي لا يجب أن نغفلها أثر العادات والتقاليد على ظهور حركة الردة في نجران وتهامة والسراة وغيرها من بلدان الجزيرة العربية، لأن الإسلام أسقط الكثير من عادات وتقاليد القبائل العربية، وألزمهم بتكاليف لا تلائم ما نشأوا عليه، مثل تقييد حرية الزواج والطلاق[٤]، ويتضح ذلك في قوله تعالى ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ ﴾[٥]، وقال الله تعالى ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا ﴾[٦]، فضلاً عن تلك القبائل المرتدة التي لم تحتمل ترك الكثير من العادات مثل شرب الخمر، ولعب الميسر، وممارسة الزنا، ولكن الله حرمها في قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[٧].

لم يكن لقبائل اليمن ونجران والسراة وغيرها قبل الإسلام قانون منظم مكتوب، بل كانت لهم تقاليد يتمسكون بها، وهي تقاليد صلبة ألفوها ويصعب تغييرها، ومن عاداتهم الأساسية الاندفاع وأحيانا الشراسة، وهي في اعتقادي توضح مدى الجمود وفقد المرونة وعدم الحوار، والإنسان الجامد يصبح مثل الحجر لا مدخل له ولا إمكانية لمجاراته أو التنازل عن أيةٍ فكرة، ولا يقبل إلا ما يؤكد أقواله وأفكاره[٨]. والواقع أن العزلة في أرض السروات نظراً لطبيعتها الجبلية[٩]، قد تكون من العوامل الرئيسة التي ساعدت أهلها على

---

(١) انظر: سامية توفيق، ص٧١، السيد عبد العزيز سالم، ص ١٨٣ .

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٦، ص٢٣١، عبد الفتاح شحاتة . تاريخ الأمة العربية (الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٢م)، ج١، ص ٤٠ .

(٣) انظر عبد الفتاح شحاتة، ج١، ص ٣٩، حسين سليمان محمود، ص٦٠، عصام الفقي، ص٣٨ .

(٤) السيد عبد العزيز سالم، ص ١٨٣، عبد الفتاح شحاتة، ص ٣٩ .

(٥) سورة النساء، الآية، (٢٠) .

(٦) سورة البقرة، الآية (٢٢٩) .

(٧) سورة المائدة، الآية (٩٠) .

(٨) صالح أحمد العلي: محاضرات في تاريخ العرب (بغداد، د. ت)، ج١، ص١٦٢ .

(٩) ذكر فؤاد حمزة أنه تحيط بسروات عسر سلسلة من العقبات أهمها عقبة قضا، وتبدأ من شعف آل عاصم من ربيعة

ترسيخ العناد والأنفة والبسالة والاعتداد بالنفس، ومن ثم فهم لا يخضعون لأية سلطة دون سلطة شيخ القبيلة لأنهم من أهل البادية الذين لم يتعودوا الخضوع لقانون أو نظام مدني[١].

وتعد حركة الردة أكبر مشكلة استهدفت الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ، ويرجع الفضل في القضاء عليها إلى قوة إيمان أبي بكر وشجاعته[٢]، والمؤكد أن الخليفة الراشد أبا بكر الصديق جمع بين رقة القلب والشجاعة والإرادة والتصميم، وقد صمم رضي الله عنه على توليه الخلافة سنة (١١هـ/٦٣٢م) على أن يسلك نفس السبيل الذي نهجه الرسول ﷺ في سبيل نشر الإسلام[٣]، وقد أشرنا إلى أن بعض عشائر نجران وتهامة والسروات، لم يرسخ الإسلام في قلوبهم، ولم يتأثروا بتعاليمه فرأوا في موت الرسول ﷺ فرصة يتخلون بها عن الإسلام، وكانوا فريقان أحدهما امتنع عن أداء الزكاة، والآخر اتبع مدعي النبوة (الأسود العنسي) ورفض الدين كله. وقد دفع الإيمان بأبي بكر إلى قتال المرتدين وقال : (لو منعوني عقالاً لجاهدتهم عليه) [٤].

وقد دارت أحداث الردة في مناطق متنوعة من نجران وتهامة والسراة مثل زُبيد، والأعلاب[٥]، ويشير الطبري إلى أن عتاب بن أسيد كتب إلى أبي بكر يخبره بارتداد قبائل نجران وتهامة والسراة، فأرسل أبو بكر ثلاث كتائب إليها[٦]. **الكتيبة الأولى :** ويقودها " المهاجر بن أبي أمية [٧]، **والكتيبة الثانية :** بقيادة خالد بن أسيد حيث توجهت إلى أهل نجران وتهامة ونجح في هزيمتهم وشتت شمل المرتدين منهم[٨]، كما وجه أبو بكر رضي الله عنه **الكتيبة الثالثة :** إلى السروات بقيادة " جرير بن عبد الله البجلي[٩]، وأمره أن يستنفر من قومه بجيلة، من يثبت على الإسلام ويقاتل بهم المرتدين ويقيم بنجران،

وتصب في وادي حلي بن يعقوب، وعقبة رجم تبدأ من شعف آل الحارث من ربيعة ورفيدة في عسير وتصب في وادي تية، ، وعقبة فودة تصب في وادي حلي عند حرف ابن موهوب، ومن أصعب العقبات في بلاد عسير عقبة الصماء، وتنتهي في بلاد رجال ألمع، وعقبة توالب تبدأ من جبل السودة الذي هو أعلى نقطة في عسير وتصب في وادي العوص في بلاد رجال ألمع وتلك العقبة تنتهي في وادي حلي، وعقبة القرون تبدأ من جبل السودة الذي هو أعلى نقطة في سراة عسير وتصب في وادي شوكان ضمن بلاد رجال ألمع، وعقبة أمطهار (الطهار) تبدأ من السقا وتصب في مربة، وعقبة الصليف وتصب في وادي لتوه الذي ينتهي في مربة، وعقبات أخرى تزيد عن العشرين عقبة .

(١) للمزيد انظر جواد علي / ج٣، ص ٥٣٣، فاطمة مصطفى عامر، ص ٢٦ .

(٢) ذكر السيد عبد العزيز سالم أن أبا بكر شارك في الجهاد وكان يوم بدر أشجع المسلمين، فقد دافع عن رسول الله ﷺ وهو في عريشه خير دفاع . انظر: التاريخ السياسي والحضاري للدولة العربية، ص ١٨٧ .

(٣) المرجع نفسه، ص ١٨٧ .

(٤) الطبري، ج٣، ص ٢٤٤ .

(٥) الأعلاب : تقع جنوب مكة على الساحل، وربما كانت في المنطقة الواقعة بين جازان وحرض، وينسب إلى هذا البطن مخلاف عك، عمر رضا كحالة : معجم القبائل العربية القديمة والحديثة، ج٢، ص ٨٠٢ .

(٦) الطبري، ج٣، ص٢٤٩، وللمزيد انظر: ابن كثير، ج٦، ص ٣١٤، السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ١٩٠ .

(٧) السيد عبد العزيز سالم :المرجع نفسه، ص ١٩١ .

(٨) عصام الفقي، ص ٤٠ .

(٩) الطبري، ج٣، ص٣٢٢ . وللمزيد عن نسب جرير البجلي، انظر السمعاني، الأنساب، ج١، ص ٢٨٤، ٢٨٥ .

فتتبع جرير وقومه المرتدين من بطون بجيلة وخثعم وقضى عليهم[١]، أما عن ردة قبائل زُبيد فقد كان يقودها اثنان هما: عمرو بن معديكرب الزُبيدي، وقيس بن عبد يغوث بن مكشوح، وكان قيس بن يغوث قائد جيش الأسود العنسي، ويؤمن بمبادئه وتعاليمه، بل كان يرى ضرورة طرد الأبناء (الفرس) من اليمن ونجح قيس في أن يضم إليه أنصار حركة العنسي بعد اغتياله، وذلك لأنه عندما حارب تحت راية العنسي كان المرتدون وبخاصة العنسيون يترددون عليه سراً، لأنه كان نائب العنسي[٢]. وتشير إحدى الروايات إلى أن قيس بن مكشوح كتب إلى ذي الكلاع وأصحابه قائلاً: "أن الأبناء (الفرس) نزاع[٣]، في بلادكم، وإن تتركوهم لن يزالوا عليكم، وقد أرى من الرأي أن أقتل رؤوسهم وأخرجهم من بلادنا"[٤]، ثم قام قيس بإقصاء أسر الأبناء في اليمن وقسمهم، وسير أحدهم إلى عدن ليرحلوا من هناك بحراً إلى بلاد فارس، وسير القسم الآخر براً قائلاً التحقوا بأرضكم[٥].

وكان موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه تجاه عمرو بن معديكرب وأتباعه أن أرسل لهم جيشاً بقيادة المهاجر بن أبي أمية لمحاربة عمرو وقيس بن عبد يغوث وأنصارهما[٦]، وبعث معه كتاباً إلى أهل السراة، وحينما بلغ نجران انضم إليه فروة بن المسيك، وجرير بن عبد الله البجلي، وعبد الله بن ثور، وخالد بن أسيد[٧]، وفي الوقت نفسه عندما رأى فيروز بن باذان والي صنعاء من قبل الرسول ﷺ حركة قيس بن عبد يغوث موجهة إليه وقومه غادر صنعاء ولجأ إلى أخواله من قبيلة خولان، ونجح في استمالة جماعة من المسلمين، وعمل على تعضيد جبهته بالاتصال بالعديد من المسلمين الذين لا زالوا على إسلامهم، وسرعان ما لبى دعوته بعض بني عقيل والعكيين والتقوا بقوات قيس المرتدين ونجحوا في هزيمتهم[٨]، وبالرغم من خطورة ردة قيس بن مكشوح المرادي، إلا أن ردة خاله عمرو بن معديكرب الزبيدي، كانت أشد خطورة وأكثر عنفاً، وربما يرجع السبب في ذلك إلى عملية توزيع المناصب التي انتهت باستعمال الرسول ﷺ على زبيد فروة بن مسيك دون عمرو بن معديكرب[٩]، وقد اشتد القتال بين المسلمين والمرتدين في السروات، وأخيراً صار عمرو بن معديكرب محاصراً بجيوش المسلمين، فترك ابن أخته قيساً وأتباعه، وسلم نفسه للمسلمين بغير أمان[١٠]، وهذه المسألة ليست من قبيل الجبن في طبيعة عمرو، وإنما هي نتيجة لرزانته وتعقله ويتضح ذلك في قوله:

---

(١) انظر الطبري، ج٣، ص ٣٢٢، ابن خلدون، ج٢، ص ٦٨، عصام الفقي، ص٤١ .

(٢) ابن الأثير، ج٢، ص ٢٥٥، ابن كثير، ج٥، ص ٣٣٧ .

(٣) النزاع: جمع نازع وهو: الغريب . الطبري، ج٣، ص ٣٢٣ .

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢٥٥ .

(٥) ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٢، ص٢٥٥، انظر أيضاً ابن خلدون، ج٢، ص٦٨ .

(٦) السيد عبد العزيز سالم، ص ١٩١، أحمد إبراهيم الشريف، ص ١٥٤ .

(٧) الطبري، ج٣، ص ٣٢٩، ٢٥٠، ابن الأثير، ج٢، ص ٢٥٦، محمد الخضري بك، ص ١٧٥، ١٧٦.

(٨) لمزيد من التفصيلات انظر البلاذري، فتوح البلدان، ص١١٤، ابن حزم، ص٢٩٠، ابن الأثير، ج٢، ص ٢٢٩، ابن كثير، ج٦، ص ٣٣١، ابن خلدون، ج٢، ٦٧ .

(٩) انظر: الطبري، ج٣، ص ٣٢٨، الأصفهاني، الأغاني، ج١٤، ص ٢٦، النعمان القاضي، شعر الفتوح الإسلامية، ص ٢٢ .

(١٠) النعمان عبد المتعال القاضي، ص ٢٠٢ ،

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع[١].

أما عن الردة في الأعلاب بنجران وتهامة فقد احترقت هذه المدينة بردة قبائل عك والأشعريين ومن جاورهم، وتذكر بعض المصادر أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه وجه إليهم الطاهر بن أبي هالة ومعه مسروق العكي وبعض قومه الذين لم يرتدوا عن الإسلام، فقاتلوا المرتدين وانتصروا عليهم وأعادوهم إلى حظيرة الإسلام[٢]، ويبدو أن كلاً من الفريقين كان له هدف في القتال، فقتال المسلمين في سبيل العقيدة الراسخة، أما قتال المرتدين فكان من أجل الاستئثار بالسلطة والكسب الدنيوي [٣].

وسبق القول إن المرتدين كانوا على فريقين أحدهما رفض الرسالة وأنكر الدين، والآخر أبى دفع الزكاة واعترف بباقي الأركان، وبالرغم من الفارق الكبير بين الفريقين إلا أن الخليفة أبا بكر الصديق رضي الله عنه عاملهم معاملة واحدة، وأعتقد أن هذه المعاملة كانت ضرورة للأمن وسلامة الدولة الإسلامية، والواقع أن عهد أبي بكر الصديق يعتبر من أخطر العهود، لأنه يمثل فترة الانتقال العصيبة التي تربط بين عهدين، عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وهو وعهد نزول الوحي، بينما كان عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عهد تنظيم الحكم الإسلامي واستقرار قواعده، ومن الصعب في هذه الظروف التي يتطلع فيها أعداء الأمة إلى ضربها أن يأخذ الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه المرتدين بالهوادة واللين، والثابت أن أبا بكر الصديق استعان بفرسان من قبائل الأزد وعك وبجيلة وخثعم لمحاربة المرتدين من نفس قبائلهم[٤]، والحقيقة أن سياسة الخليفة الراشد أبي بكر الصديق في ضرب المرتدين بالمسلمين في القبيلة الواحدة يدل على حكمته وبعد نظره، وبذلك استطاع القضاء على دعاة الردة في مختلف بلدان نجران وتهامة والسراة واسترجاع نفوذ الخلافة عليها[٥]، ويمكن القول إن العصبية القبلية والاعتزاز بالنفس والحرية المطلقة كانت وراء حركة الردة، فضلاً عن أن الردة كانت متوقعة من أعراب السروات مثل قبيلة بجيلة، وبطونها

---

(١) يروي الأصفهاني أن الصمة بن بكر أغار على قومه فاستاق إبلهم وسبى فيمن سبى، أخت عمرو، وكانت تدعى ريحانه، فتبعه عمرو ومعه أخوه عبد الله، وفي الطريق رجع عبد الله وتبعه عمرو ولم ييأس، ثم رجع وهي تناديه باعلى صوتها يا عمرو، وهو يقول :

أمن ريحانة الداعي السميع يؤرقني وأصحابي هجوع
سباها الصمة الجشمي غصباً كأن بياض غرتها صديع
وحالت دونها فرسان قيس تكشف عن سواعدها الدروع
إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

الأصفهاني، الأغاني، ج١٤، ص ٨٠٢ .

(٢) الطبري، ج٣، ص ٣٢٠ ، ابن كثير، ج٦، ص٣١١، ابن خلدون، ج٢، ص٦٨ .

(٣) ابن كثير، ج٦، ص٣١١، السيد عبد العزيز سالم، ص ١٨٢ .

(٤) انظر : عصام الفقي، ص ٤٠، ٤١ .

(٥) حسن إبراهيم حسن، ج١، ص ٢٠٦، السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص١٨٤.

العديدة، بسبب طبيعتهم غير المستقرة في مكان واحد [١].

٢. دور أهل نجران وتهامة والسراة في الفتوحات الإسلامية المبكرة :

الفتوح ظاهرة من الظواهر التاريخية المطردة تحدث كلما توحد شعب بعد أن كان مفككاً، أو كلما نهض شعبا وأصلح نفسه ثم أحس بكيانه[٢]، وتذكر بعض المصادر التاريخية أن حركة الفتوح بدأت عقب قضاء المسلمين على حركة الردة وأحسوا بكيانهم وتطلعوا إلى العالم المحيط بهم خارج الجزيرة العربية، واختلف المؤرخون في تعليل حركة الفتوح فبعضهم يرجع ظاهر الفتوحات إلى أسباب اقتصادية، والبعض الآخر يرى أنها ترتبط بالجهاد، وفريق ثالث يرجعها إلى العامل القومي[٣]، وليس موضوعنا دراسة دوافع الفتوح بشكل عام، لكن ما يهمنا هي الدوافع التي دفعت قبائل نجران وتهامة والسراة للمشاركة في الفتوحات الإسلامية المبكرة، وهناك فريق من المستشرقين انصب تحليلهم على أسس اقتصادية إذ جعلوا من حركة الفتوح امتدادا لحركة الهجرة القديمة التي بدأت قبل الميلاد، ويعتقد أصحاب هذا الرأي أن هذه الموجات هي هجرات اقتصادية إلى المناطق الغنية الخصبة الواقعة إلى الشمال الشرقي والغربي من الحجاز. ونعني بذلك منطقة الهلال الخصيب. نتيجة لتدهور الأحوال الاقتصادية في الجزيرة العربية[٤]. ويدلل أصحاب هذا الرأي بما رواه البلاذري، " من أن أبا بكر استنفر القبائل إلى الجهاد ورغبهم في غنائم الروم فسارع الناس إليه بين محتسب وطامع[٥]، وأيضاً بما رواه على لسان خالد بن الوليد عندما أراد أن يستحث عزائم المقاتلين من جنده في معركة " الولجة" [٦]، وبما أن النصوص التي ساقوها ما هي إلا عبارات حماسية قالها الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه أو خالد بن الوليد لجنده ليحثهم على الغنيمة بهدف نيل ثواب الجهاد ضد الروم[٧].

ومما يبطل ما زعمه المستشرقون من أن الدافع إلى الجهاد لم يكن دافعاً دينياً وهو تسابق بعض أهالي نجران وتهامة والسراة في سبيل الاستشهاد دفاعاً عن الدين ورغبة في نشره في كل أرجاء شبه الجزيرة العربية وخارجها، ومن هؤلاء جرير بن عبد الله

---

(١) ظعنت بجيلة إلى جبال السروات فنزلوها، وأهلها يومئذ حي من العاربة الأولى، يقال لهم بنو ثابر، فقاتلوهم فغلبوهم على السراة ونفوهم عنها، ثم قاتلوا بعد ذلك خثعماً أيضا فنفوهم عن بلادهم، فصارت السراة لبجيلة إلى أعلى تربة فكانت دارهم جامعة ومتحدة حتى وقعت حرب بين أحمس بن الغوث بن أنمار وزيد بن الغوث بن أنمار، فقاتلت زيد أحمس قتالا مريرا كاد أن يفنيهم . انظر: عمر رضا كحالة : معجم القبائل العربية القديمة والحديثة، ج١، ص٦٣، وللمزيد انظر ابن كثير، المصدر السابق، ج٦، ص ٣٠٥ .

(٢) أحمد إبراهيم الشريف، دور الحجاز في الحياة السياسية، ص ١٦١ .

(٣) فهمي عبد الجليل، العرب والدولة الموحدة قبل الإسلام وبعده . (معلومات النشر بدون، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) ص٦٥.

(٤) المرجع نفسه .

(٥) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١١٥ .

(٦) المصدر نفسه، وذكر الطبري أن واقعة الولجة كانت سنة (١٢هـ) بين المسلمين بقيادة خالد بن الوليد والفرس وانتصر فيها المسلمون، انظر تاريخ الطبري، ج٣، ص ٣٥٣، ٣٥٤ .

(٧) انظر، السيد عبد العزيز سالم، ص ١٧١ .

البجلـي[١]، ويذكـر البلاذري أنه أبلى في نصـرة هذا الدين بلاءً رائعـاً[٢]، حتى قال عنه سـعد بن أبي وقاص " لقد كان يوم القادسية شـديد النكاية بالعدو [٣]، وغيرهم كثير من الذيـن اندفعـوا إلى الاستشـهاد وقدموا أعمالاً قتاليـة جبارة قادت بعضـهم إلى الإعاقة مدى الحياة[٤]، ولا يمكن اعتبار حركة الفتوح امتداداً لحركة الهجرة القديمة لأن ظروف الهجـرة القديمة تختلف عن ظروف الفتوح الإسـلامية، فالهجرات القديمة تمت على إثر حروب قبلية، أو بسبب أزمات معيشية طارئة مثل انهيار سد مأرب، ولم يحدث ذلك عندما بدأت حركة الفتوح الإسلامية، ويذكر أحد الباحثين المحدثين أنه في ظل الحكم الإسلامي أصـبحت القبائل العربية لأول مرة تمارس حياة آمنة من الغارات وحروب الثأر، وانتعشت الموارد الاقتصادية بسبب ازدهار التجارة وتأمين طرقها في ظل الدولة الإسلامية[٥].

ولاشك أن حركة الفتوح الإسلامية المبكرة تمثل ضرورة بعد حركة الردة لرأب الصدع وتوحيد صفوف العرب[٦]، وتقول إحدى الروايات إن أبابكر وأصحابه رأوا أن يشغلوا العرب بمشروعات كبيرة عظيمة تصرف أذهانهم عن التفكير في المسائل الداخلية والدينية، كما أن رواسـب الخلافـات القديمة بين القبائل لم تمح آثارها، وأغلـب الظن أن عملية الفتوح الإسـلامية لم تكن تسـتند إلى ظروف داخلية فحسب بل كان هناك ظروف خارجية تمهد للفتح، وليس أدل على ذلك من الضـعف الذي أصـاب الدولتين الفارسـية والرومانية[٧]، ولأن حركـة التوسـع الكبيرة ما كانـت لتأخذ مجراها المعروف في التاريـخ لو كانت في أوج قوتهما، ولكن شاء الله تعالى أن يكون ظهور العرب والمسلمين، وكانتا دولتا الفرس والروم في وضع ضعيف ومنهار [٨].

أما عن دور قبائل نجران وتهامة والسراة في فتح العراق وفارس، فقد ساهم عدد من قبائل تلك البلاد مثل بجيلة وأزد السراة في معركة البويب سنة (١٣هـ/ ٦٣٤م) [٩]، وتشير

---

(١) وعن دور أهل نجران وتهامة والسراة في الفتوح الإسلامية المبكر، انظر: غيثان بن علي بن جريس " دور أهل تهامة والسـراة في ميادين الفتوح الإسـلامية المبكرة في صدر الإسـلام " بحث منشور في كتاب : دراسات في تاريخ تهامة والسراة (ق١- ق١٠هـ/ق٧-ق١٦م)، ج١، ص ٥٥- ٩٢ .

(٢) انظر البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٠٦.

(٣) النعمان عبد المتعال، شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، ص٢٠٦ .

(٤) انظر، البلاذري، ص ٣٠٦ .

(٥) انظر: فهمي عبد الجليل محمود ، العرب والدولة الموحدة قبل الإسلام وبعده . ص ٦٦ .

(٦) سامية توفيق، ص ٧٨ .

(٧) كانت الدولتان الرومانية (البيزنطية) والساسـانية منذ القرن السـادس الميلادي قد اعتراهما الضـعف والوهن بسـبب الحروب المتبادلة بينهما، التي أدت إلى اسـتنزاف طاقتهما، كما أدت إلى شـيوع الفوضى والاضطراب في جميع المرافق الاقتصادية في تينك الإمبراطوريتين فمن انقسامات مذهبية عاتية، إلى كساد شنيع في التجارة والصناعة والزراعة، إلى إفلاس في الخزانة، إلى حروب أهلية طاحنة بسبب التنافس على العرش . انظر: السيد عبد العزيز سالم، التاريخ السياسي والحضاري للدولة العربية، ص ٢٦٣ .

(٨) للمزيـد انظـر: إبراهيم أحمـد العدوي، الأمويون والبيزنطيـون (الطبعة الثانية الدار القومية للطباعة والنشـر، مصر، د. ت)، ص٣٤ .

(٩) الطبري / ج٣، ص ٤٧٠.

بعض المصادر التاريخية إلى أن قبيلة بجيلة قدمت إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه تريد الشام لأنها تضم أسلافهم من القبائل اليمنية[١]، ولكن الخليفة مارس ضغوطاً على شيخ بجيلة جرير البجلي من أجل أن يتوجه إلى العراق مدداً للمثنى بن حارثة الشيباني نظراً لما أصابه في معركة الجسر[٢]. والحقيقة أن استجابة جرير بن عبد الله البجلي للتوجه نحو العراق كان بسبب النزاع الذي تفجر بينه وبين عرفجة بن هرثمة البارقي حول السيادة على قبيلة بجيلة، ونستدل على ذلك بما أشار إليه الطبري، وذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جمع قبيلة بجيلة تنفيذاً لوصية الرسول صلى الله عليه وسلم لجرير البجلي وخرجت بطون قيس وكبة وعرنة من بين قبائل العرب[٣]، واستعمل عمر بن الخطاب عرفجة على بطون بجيلة التي خرجت من قبيلة جديلة[٤]، وولى جرير بن عبد الله على بطون بجيلة التي خرجت من بني عامر[٥]، ولكن قبيلة بجيلة أنكرت تولي عرفجة عليهم لأن نسبه لا يعود إليهم[٦]، وذكر الطبري أنه عندما تحقق عمر من صحة دعوى بجيلة استعمل جريراً مكانه[٧]، واستعمل عرفجة بن هرثمة على الأزد وبارق، وبعثه إلى الشام[٨]، ومن هنا كان من الطبيعي أن يتجه جرير إلى العراق حتى يبعد عن منافسه في قيادة بجيلة.

وتشير المصادر التاريخية إلى أن عمر بن الخطاب عندما علم بهزيمة المسلمين في معركة الجسر أخذ يرسل الإمدادات إلى المثنى بن حارثة بالعراق، فلما سمع الفرس عن كثرة جيوش المثنى، بعثوا إليه جيشاً آخر بقيادة مهران، في مكان يقال له "البويب" وهو موضع قريب من الكوفة، وكان الفرات بينهم فقال الفرس أما أن تعبروا إلينا، أو نعبر إليكم، فقال المسلمون بل اعبروا إلينا، فعبرت الفرس إليهم، وأخذ المثنى يمر على كل راية من رايات القبائل يحثهم على الجهاد والصبر ودارت المعركة واقتتلوا قتالاً شديداً، ويذكر أن

---

(١) الطبري، ج٣، ص ٤٦٢، ابن كثير، ج٧، ص ٢٩ .

(٢) معركة الجسر : ذكر ابن كثير أنه لما رجع الجالينوس هارباً مما لقي من المسلمين اجتمعت الفرس على رستم، ثم أرسل جيشاً كثيفاً عليهم ذا الحاجب فوصلوا إلى المسلمين وبينهم النهر وعليه جسر فأرسلوا إما أن تعبروا إلينا أو نعبر إليكم، فقال المسلمون لأميرهم أبي عبيدة أأمرهم فليعبروا هم إلينا، فقال ما هم بأجرأ على الموت منا، ثم اقتحموا إليهم فاجتمعوا في نحو من عشرة آلاف، وقد جاءت الفرس معهم بفيلة كثيرة لتخويف خيول المسلمين، فكلما حملوا على المسلمين فرت خيولهم، وأخيراً انهزم المسلمون وقتل منهم عدد كثير، للمزيد انظر: ابن كثير، ج٧، ص ٢٧، ٢٨ .

(٣) ابن كثير، ج٧، ص ٢٩ . قيس وكبة وعرينة : بطون من بجيلة من كهلان القحطانيين، انظر ابن حزم، ص ٢٨٧ .

(٤) جديلة : بطن من طيئ من القحطانية، وجديلة أمهم وقد عرفوا بها وهي جديلة بنت سبع بن عمرو بن حمير. القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص ٢٠٥ .

(٥) الطبري، ج٣، ص ٤٦٢ .

(٦) يروي الطبري أن بجيلة قالت للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أعفنا من عرفجة، فقال لا أعفيكم من أقدمكم هجرة وإسلاماً، قالوا : استعمل علينا رجلاً منا، ولا تستعمل علينا نزيعاً فينا، فظن عمر أنهم ينفونه من نسبه، فقال: وما تقولون قالوا: نقول ما تسمع من نسبه، فأرسل إلى عرفجة، فقال إن هؤلاء استعفوني منك، وزعموا أنك لست منهم، فما عندك ؟ فقال : صدقوا أنا من الأزد ثم من بارق . للمزيد انظر الطبري، ج٣، ص ٤٦٢ .

(٧) الطبري، المصدر نفسه، ج٣، ص ٤٦٢

(٨) المصدر نفسه، ج٣، ص ٤٦٣ .

المثنى هو الذي قتل مهران، وتشير رواية أخرى إلى أن الذي قتل مهران واجتز رأسه هو جرير بن عبد الله البجلي[١]، وبفضل مشاركة قبيلة بجيلة الفاعلة انهزم الفرس وقتل قائدهم [٢].

وبعد معركة البويب فُتح الطريق أمام المسلمين نحو مدن الفرس، وانطلق جرير يحث قومه على الجهاد وفتح الله على أيديهم بلاد عديدة، وظفروا بكثير من البقر والسبي وسائر الغنائم فقسمها المثنى بين المسلمين وأعطى بجيلة ربع الخمس[٣]. وكتب جرير إلى المثنى يبشره بالفتح ويطلب منه الموافقة على مواصلة الغزو حتى ساباط، ولكن أهلها تحصنوا فيها، ووجد المسلمون منهم مقاومة شديدة إلا أن فرسان بجيلة كانوا أول من دخلها، لأن طبيعتها جبلية مثل بلاد السروات، وهم مدربون على صعود الجبال، لذلك كان من الطبيعي أن يكونوا أول الفاتحين، أما دور أهل السراة في معركة القادسية، فلقد كان للسرويين والتهاميين جهود واضحة وبخاصة البجليون، فالذين شاركوا من عشائر بجيلة نحو ألفين من الفرسان، وأكثر من ألف من النساء[٤]، وفي رواية ألف وسبعمائة امرأة[٥]، وتشير إحدى الروايات إلى أنه لم يكن بين قبائل العرب نساء أكثر من نساء قبيلة بجيلة، ويرجع ذلك إلى أنهم يحرصون على اصطحاب نسائهم وأطفالهم معهم في الحروب حتى لا يكون لهم الخيار بين النصر أو الموت[٦]، ويذكر ابن الأثير أنه عندما بلغ المثنى بن حارثة خبر الاتصالات بين رستم قائد جيش الفرس وبين نصارى الحيرة، وجه المثنى قبيلة بجيلة إلى أهل العذيب مما يلي الكوفة ليثنوهم عن الوقوف ضد إخوانهم العرب [٧].

بدأت معركة القادسية سنة ست عشرة هجرية، وقيل خمس عشرة هجرية، وفي روايات أخرى سنة أربع عشرة هجرية[٨]، وقد أخذ الفرس يميلون على قبيلة بجيلة دون غيرها من القبائل حيث وجهوا إليهم حوال سبعة عشر فيلاً وعلى كل فيل عشرون رجلاً، وذلك مما أثار فزعهم [٩]، والقتال بالفيلة نوع جديد لم يعتد عليه العرب في حروبهم مما سبب فزعهم[١٠]، لكن ما السبب في ميل الفرس على بجيلة دون غيرها من القبائل العربية ؟ ويذكر ابن كثير إلى أن السبب في ذلك يرجع إلى أن أحد سكان الطائف ارتد

---

(١) الطبري، ج٣، ص ٤٦٥، ٤٧٢، ابن كثير، ج٧، ص ٢٩، السيد عبدالعزيز سالم، التاريخ السياسي والحضاري للدولة العربية، ص ٢٥١ .

(٢) للمزيد : انظر، الطبري، ج٢٧٤، ابن كثير، ج٧، ص ٢٩ .

(٣) الطبري، ج٣، ص ٢٧٠ .

(٤) ابن كثير، ج٧، ص ٢٩، عمر رضا كحالة، معجم القبائل، ج١، ص ٦٤ .

(٥) انظر: الواقدي، فتوح الشام، ج١، ص ١٩٢ .

(٦) عمر رضا كحالة، المرجع السابق، ج١، ص ٦٤ .

(٧) انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٣٣٧ .

(٨) للمزيد انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٣٣٧، حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج١، ص٢١٧

(٩) ابن خلدون، ج٢، ص ٩٧ .

(١٠) المصدر نفسه

عن الإسلام وذهب إلى الفرس وأخبرهم أن بأس المسلمين في الموقع الذي تكون فيه بجيلة[١]، وفي معركة القادسية برزت مواهب عسكرية فذة في صفوف فرسان بجيلة منهم قيس بن مكشوح الذي شجع المسلمين وحفزهم بالخطب والشجاعة ورفع من معنويات المجاهدين[٢]، بينما الذي توج بالنصر في معركة القادسية من فرسان بجيلة هو زهير بن عبد شمس البجلي الذي استطاع أن يصرع رستم قائد جيوش الفرس[٣]. ثم قال في ذلك:

أنا زهير بن عبد شمس أردت بالسيف عظيم الفرس
رستم ذا النخوة الدمقسي أطعت ربي وشفيت نفسي[٤].

ومن الملاحظ أن مقتل قائد جيوس الفرس على يد أحد فرسان بجيلة يكشف عن كفاءتهم العسكرية، لهذا كانوا محل تقدير المثنى بن حارثة الشيباني، بل الخليفة نفسه حتى بلغ الأمر إلى تفضيلهم على غيرهم من القبائل، وليس أدل على ذلك من أن الخليفة جعل لهم " ربع الخمس مما أفاء الله عليهم من غزواتهم "[٥].

وبالرغم من تمييز عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقبيلة بجيلة عن غيرهم من القبائل إلا أنه كان ينكر منهم أي سلوك يشق صفوف المجاهدين . ويشير ابن خلدون إلى أن جريراً اشترى أرضاً على شاطئ الفرات فرفض عمر ذلك، ونهى عن شيء لم يقتسمه أهله[٦]، حرصاً من الخليفة على روح الإخاء بين المجاهدين المسلمين.

ولم يكن الخطر على الفرس قاصراً على قبيلة بجيلة فقط، بل هناك قبائل أخرى من السراة لا يقل دورها عن دور بجيلة مثل زُبيد، وعلى رأسهم عمرو بن معديكرب[٧]،

---

(١) انظر، ابن كثير، ج٧، ص ٤٥ .

(٢) قال قيس بن مكشوح : يا قوم إن منايا الكرام القتل، فلا يكون هؤلاء أولى بالصبر وأسخى نفساً بالموت منكم ثم قاتل قتالاً شديداً . انظر: البلاذري ص ٢٥٩، ٢٦٠ . ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢٣٢

(٣) البلاذري ، ص ٢٦٠ .

(٤) يروي الأصفهاني: قال عمرو بن معديكرب يوم القادسية الزموا خراطيم الفيلة بالسيوف فإنه ليس لها مقتل إلا خراطيمها، ثم شد على رستم وهو على فيل فضرب فيله فجذم عرقوبه، وسقط رستم بعد ذلك عن فرسه فقتله : الأصفهاني : الأغاني، ج١٤، ص ٣٠ . بالرغم من أن رواية الأصفهاني تتناقض مع رواية البلاذري إلا أننا نميل إلى رواية البلاذري، ليس لأنه أقرب إلى الأحداث من الأصفهاني فحسب، بل لأن الأصفهاني روى الحديث على لسان عمرو بن معديكرب، الذي اشتهر بعدم الدقة في رواياته، ويظهر ذلك واضحاً في عديد من الروايات منها ما يذكرها الأصفهاني نفسه من أن عمراً كان يذهب مع الأشراف إلى الكوفة يتناشدون الأشعار ويتذكرون أيام الناس كعادتهم، ووقف مرة إلى جانب خالد بن الوليد الصقب النهدي، وأقبل عليه يحدثه ويقول : أغرت على بني نهد، فخرجوا إليّ مسرعين وخالد بن الصقب يتقدمهم فطعنته فوقع، وضربته بالصمصامة حتى فاضت روحه فقال له الرجل : يا أبا ثور " أنا مقتولك الذي تحدث " فقال عمرو " اللهم غفرانك إنما أنت بمحدث فاسمع إنما نتحدث بمثل هذا وأشباهه لنرهب هذا المعدية " أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني، ج١٣، ص٣٢ .

(٥) الطبري، ج٣، ص ٤٦٩، ابن خلدون، ج٢، ص ١٠٣ .

(٦) ابن خلدون، ج٢، ص ١٠٣ .

(٧) ابن كثير، ج٧، ص٤٥، وذكر الأصفهاني أن عمرو بن معديكرب الزُبيدي هو فارس العرب، ويقدمه أبوعبيدة على زيد الخيل في الشدة والبأس . الأصفهاني : الأغاني، ج٤، ص ٢٥ .

وليس أدل على ذلك ما كتبه عمر بن الخطاب إلى النعمان بن مقرن في نهاوند : بأن يستشيره في كل أمور الحرب[١]، ونراه في القادسية يباشر المعركة ويمر بين صفوف المعركة ويحمسهم ويدفعهم بقوله : "كونوا أسوداً أشداء، والزموا خراطيم الفيلة بالسيوف فإنها ليس لها مقتل إلا خراطيمها"[٢]، ويشير الأصفهاني إلى أنه عندما نشب القتال صاح غالب بن عبد الله الأسدي يطلب المبارزة، فبرز إليه عمرو بن معديكرب وأخذه وجلده على الأرض فذبحه [٣]، وقد كانت هذه البطولات العسكرية المميزة لأبناء السروات مثل عمروبن معديكرب، التي من شأنها أن تقلل من همة الفرس وقوتهم، وترفع الروح المعنوية للمجاهدين المسلمين، ونظراً لدور فرسان بلاد نجران وتهامة والسراة المميز في الفتوح، فقد ميزهم سعد في العطاء فكان نصيب عمرو بن معديكرب ثمانية آلاف وخمسمائة درهم في الوقت الذي كان فيه العطاء المقرر ستة آلاف درهم[٤].

أما عن دور قبائل السروات ونجران في فتح جلولاء [٥]، فقد شاركت فيها العشائر السروية والنجرانية مثل بجيلة، وزبيد، ومراد سنة (١٦هـ/٦٣٦م) [٦]، ولم يكن فرسان السروات مجرد مقاتلين شجعان، بل كانوا أيضاً يحاربون بخطط محكمة كما يظهر في معركة (جلولاء)، فحينما أرخى الليل سدوله أخذ أبناء السراة مثل عمرو بن معديكرب، وقيس بن مكشوح المرادي يتحصنون حتى انبلج الفجر ثم أخذوهم من كل وجه، وقتلوا منهم عدداً كبيراً وغنم المسلمون منهم غنائم كثيرة[٧]، وذكر ابن خلدون أنه عندما بلغت الغنائم النفيسة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورأى الجواهر والياقوت أخذ يبكي خشية أن يبعث ذلك على التحاسد والتباغض بين المسلمين[٨]، وما أن تم للمسلمين النصر في جلولاء حتى ضم هاشم بن عتبة إلى جرير بن عبدالله البجلي خيلاً كثيرة، وعهد إليه بالبقاء في جلولاء ليحمي جيوش المسلمين، ثم وجه سعداً إلى جرير نحو ثلاثة آلاف من المسلمين، وأمر جرير البجلي بأن يزحف إلى حلوان، فلما اقترب جرير منها، هرب يزدجرد ناحية أصفهان سنة (١٩هـ) وتم لجرير فتح حلوان صلحاً[٩].

---

(١) الأصفهاني، المصدر نفسه، ج١٤، ص ٢٨ النعمان عبد المتعال القاضي، ص ٢٠٥ .

(٢) ابن كثير، ج٧، ص ٤٥ .

(٣) ابن خلدون، ج٢، ص ٩٧، الأصفهاني ج١٤، ص ٢٩ .

(٤) ذكر الأصفهاني أن عمر بن الخطاب فرض لعمرو بن معديكرب ألفين فقال له يا أمير المؤمنين ألف هاهنا وأشار إلى شق بطنه الأيمن وألف هاهنا وأومأ إلى شق بطنه الأيسر فما يكون هاهنا وأومأ إلى وسط بطنه فضحك عمر رضي الله عنه وزاده خمسمائة . الأصفهاني، الأغاني، ج١٤، ص ٢٨ .

(٥) جلولاء : موضع في طريق خرسان، بينها وبين خانقين سبعة فراسخ، وبها كانت الواقعة المشهورة على الفرس سنة (١٦هـ) فاستباحهم المسلمون فسميت جلولاء لما أوقع بهم المسلمون، ياقوت الحموي . معجم البلدان (ط دار صادر ببيروت، ١٩٧٩م) ج٢، ص ١٥٦ .

(٦) المصدر نفسه .

(٧) ابن كثير، ج٧، ص٧٠ .

(٨) ابن خلدون، ج٢، ص ١٠٣، انظر أيضاً : ابن كثير، ج٧، ص ٧٠ .

(٩) السيد عبد العزيز سالم، التاريخ السياسي والحضاري للدولة العربية، ص ٢٥٦ .

أما دور قبائل السراة ونجران في فتح نهاوند فقد وقعت حرب نهاوند سنة تسع عشرة من الهجرة، وفي بعض الروايات سنة عشرين، وقيل سنة إحدى وعشرين [١]،ويشير البلاذري إلى أنه عقب هروب يزدجرد من حلوان حدثت مراسلات بين بعض المدن الفارسية مثل قومس[٢]، وأصبهان[٣]، وهمذان[٤]، وأسفرت هذه الاتصالات عن تجمع حوالي ستين ألفاً وقيل مائة ألف[٥]. وفي بعض الروايات مائة وخمسون ألفاً [٦]، وعين يزدجرد عليهم مردخاه ذا الحاجب[٧]. أما على الجانب الإسلامي فقد عزل الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ سعد بن أبي وقاص على أثر شكوى قدمت ضده حول أمور فقهية[٨]، واختار عمر النعمان بن مقرن على قمة تسلسل قيادي أغلبه من شيوخ السروات، ويتضح ذلك من كتاب عمر إلى النعمان، عندما أمره أن يسير بمن هناك من الجنود إلى نهاوند، وإذا اجتمع الناس فكل أمير على جيشه، والأمير على الناس كلهم النعمان بن المقرن، فإذا قتل فحذيفة بن اليمان، فإن قتل فجرير بن عبد الله البجلي، فإن قتل فقيس بن مكشوح[٩] . ونلاحظ أن معظم الجيوش الإسلامية حوالي ثلاثين ألفاً، تمثل قبائل السروات السواد الأعظم منها مثل قبيلة بجيلة التي يقودها جرير بن عبد الله البجلي، وأيضاً قبيلة زُبيد التي يقودها عمرو بن معديكرب الزُبيدي، وقيس بن مكشوح المرادي[١٠].

وقبل بدء معركة نهاوند أرسل النعمان فرقة استطلاعية لاستكشاف أخبار العدو، ودارت المعركة يوم الأربعاء والخميس عام (٢١هـ/٦٤١م) وقد تحصن الفرس بخنادقهم، وبعد أن ضاق المسلمون بحصارهم، حاولوا استدراجهم من خنادقهم، ثم حملت بعض

---

(١) انظر ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص ١١٣، ابن كثير، ج٧، ص١٠٥، السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ٢٥٦ .

(٢) قومس : هي كورة كبيرة واسعة تشتمل على مدن وقرى ومزارع، وهي في ذيل جبال طبرستان، وأكبر ما يكون في ولاية ملكها، وهي بين الري ونيسابور، ياقوت، ج٤، ص ٤١٤ .

(٣) أصبهان : هي مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها، وهي اسم للإقليم بأسره، ومساحة أصبهان ستة عشر رستاق، وكل رستاق ثلاثمائة وستون قرية قديمة سوى المحدثة " ياقوت، ج١، ص ٢٠٦ ـ ٢٠٨ .

(٤) همذان : أكبر مدينة بالجبال، طولها من جهة الغرب ثلاثة وسبعون درجة وعرضها ستة وثلاثون درجة، وهمذان وأصبهان أخوان . ياقوت، ج ٥، ٤١٠ .

(٥) البلاذري، ص ٣٠٠ .

(٦) ابن خلدون، ج٢، ص ١١٥ .

(٧) البلاذري، ص ٣٠٠، ابن خلدون، ج٢، ص ١١٥ .

(٨) ذكر ابن الأثير أن عمر بن الخطاب ﷺ بعث محمد بن مسلمة ... وكان محمد صاحب العمال يقتص آثار من شكا زمان عمر، فطاف بسعد على أهل الكوفة يسأل عنه ...حتى انتهى إلى بني عبس فسألهم، فقال أسامة بن قتادة : اللهم إنه لا يقسم بالسوية، ولا يعدل في القضية، ولا يغزو في السرية، وخرج محمد بسعد إلى المدينة فقدموا على عمر فأخبروه الخبر، فقال : كيف تصلي ياسعد ؟ قال : لا أطيل الأوليين وأحذف الأخريين، فقال هكذا الظن بك يا أبا إسحاق ولولا الاحتياط لكان سبيلهم بيناً، وقال : من خليفتك ياسعد على الكوفة ؟ فقال: عبد الله بن عبد الله بن عتبان فأقره عمر على الكوفة . انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص١١٨ .

(٩) ابن كثير، ج٧، ص١٠٨ .

(١٠) للمزيد من التفصيلات انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج١٤، ص ٢٥، ابن كثير، ج٧، ص١٠٨، ابن خلدون، ج٢، ص١١٦، النعمان عبد المتعال القاضي، ص١٩٧ .

عشـائر السراة ومجاهدون آخرون على الفرس، مما أدى إلى مقتل الكثير من الفرس، في الوقت الذي استشهد فيه النعمان، وحمل راية المسلمين حذيفة بن اليمان، وانتهت المعركة بانتصـار ساحق للمسـلمين[١]، أما دور بجيلة في فتح همذان فقد ساهمت بدور رئيسي في ذلـك الفتح عام (٢٤هـ/٦٤٤م)، وقد وردت بعض الروايـات التاريخية حول هذا الفتح، فالبلاذري أشـار إلى أن المغيرة بن شـعبة كلف جرير بن عبد الله البجلي بفتح همذان[٢]، وفي رواية أخرى أن المغيرة بن شعبة تولى فتح همذان بنفسه وجرير على مقدمة الجيش[٣].

٣. الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ونصارى نجران: [٤]

كان أول قـرارات عمـر بـن الخطاب رضي الله عنه فـور توليه الخلافة سـنة (١٣هـ/٦٣٤م) يتعلق بطرد نصارى نجران[٥]، وقد طرح هذا الحادث الجليل أسئلة كثيرة من الضروري البحـث فيها، فإذا كان إجلاء النصـارى قد تم بناءً على وصـايا الرسـول ﷺ فلماذا لم ينفذها أبوبكر الذي عرفت عنه الشـدة في تنفيذ وصـايا الرسول ﷺ، كما إذا كانت هذه تعليمات الرسـول ﷺ بطرد اليهود والنصارى من جزيرة العرب، فلماذا لم يطبقها عمر بن الخطاب حرفياً واكتفى بطرد نصـارى نجران ويهود خيبر ؟ وأيضـاً إذا كان الرسـول ﷺ (أعطـى عهـداً بالأمان نصـارى نجران فلمـاذا نقض عمر بـن الخطاب رضي الله عنه هذا العهد؟ وما هو سبب موقف بقية الخلفاء تجاه هذا الموضوع؟[٦].

ويعد حادث طرد نصـارى نجران من الحوادث المهمة التي مازالت موضع الجدل بين الباحثين حول الأسـباب التي أدت إلى سياسـة عمر بن الخطاب إزاء نصارى نجران رغم مالهم من عهود من الرسول ﷺ وأبي بكر، وتشير المصادر التاريخية إلى أنه تولي أبو بكر الخلافة بعد وفاة الرسول ﷺ وجدد العهد لأهل نجران وكتب لهم عهده وكان متضمناً لما تضمنه كتاب رسول الله لهم، وذلك الكتاب هو: " بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما كتب به عبد الله أبو بكر خليفة محمد النبي، رسول الله ﷺ لأهل نجران، أجارهم بجوار الله، وذمة محمد النبي رسـول الله ﷺ على أنفسهم وأراضـيهم وملتهم وأموالهم وحاشيتهم

---

(١) للمزيد انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٦٥، ١١٨، ابن كثير، ج٧، ص ١٠٥-١٠٩، ابن خلدون، ج٢، ص ١١٦، محمد الخضري، ص ٢٢٣ .

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٣٠٦ . وللمزيد انظر : ابن كثير، ج٧، ص ١١٣، ابن خلدون، ج٨، ص ١١٨ .

(٣) لمزيـد من التفصـيلات حول فتح همـذان انظر: البلاذري، صـ ٣٠٦، ياقوت، معجم البلـدان، ج٥، ص ٢٤١، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص١١.

(٤) لمزيد من التفصـيلات عن أهل الذمة في الجزيرة العربية قبل الإسـلام، ونصارى نجران في أثناء ظهور الإسلام، انظـر، ابـن الأثير، الكامل في التاريـخ، ج٢، ص ١٩٩-٢٠٠، ابن خلدون، ج٢، ص١٥٣، ابـن كثير، ج٥، ص٥٥-٥٧، فاطمة مصطفى عامر، ص٣٩، ابن جريس، نجران، ج١، ص ٥١-١٢٤ .

(٥) انظر : محمد كرد علي . الإسلام والحضارة العربية (القاهرة) ١٩٦٨م)، ج٢، ص١٣٠، عصام الفقي، ص٧٧ .

(٦) للمزيد عن نصارى نجران منذ عهد الرسول ﷺ حتى إخراجهم من نجران في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، انظر : ابن جريس، نجران، ج١، ص ٨١ - ٩٠، ٤٧٩ - ٤٨٩ .

وعبادتهم وغائبهم وشاهدهم وأساقفتهم ورهبانهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير لا يخسرون ولا يعشرون ولا يغير أسقف من أسقفيتهم ولا راهب من رهبانيته وفاءً لهم بكل ما كتبه لهم محمد النبي ﷺ[١].

أما عن تجديد أبي بكر الصديق العهد لنصارى نجران على الرغم من وصية الرسول ﷺ بطردهم فذلك يرجع إلى أسباب متنوعة منها قصر فترة خلافة أبي بكر، والأحداث الخطيرة التي انفجرت في عهده وشغلته عن تنفيذ كثير من وصايا الرسول ﷺ[٢]، ومن أهم هذه الأحداث خطر الفرس والروم الذي يهدد كيان الدولة الإسلامية الوليدة، هذا فضلاً عن حركة الردة في اليمن والسروات التي قادها الأسود العنسي، ومعظم سكان نجران ينتمون إلى قبيلة مذحج، ومنها ملوك نجران قبل ظهور الإسلام وفي أثنائه، وطرد نصارى نجران من شأنه أن يفتح على أبي بكر الصديق جبهة أخرى غير الجبهات القائمة في ذلك الوقت، وبخاصة أن نصارى نجران يتحصنون بعصبية قوية من بني الحارث بن كعب المذحجيين، وذلك وقف حائلاً دون تنفيذ وصية الرسول ﷺ بطرد أولئك النصارى[٣]، وقد تغير وضع نصارى نجران في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأجلاهم الخليفة عن بلادهم، واشترى منهم أرضهم وعقارهم، فخرجوا إلى بلاد العراق[٤]، وتنوعت الروايات التاريخية حول الأسباب التي دفعت الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى إخراج نصارى نجران، فتذكر بعض المصادر أن عمر بن الخطاب طرد نصارى نجران معتمداً على أحاديث الرسول ﷺ التي توصي باقتصار سكنى بلاد العرب على المسلمين دون غيرهم، ونذكر منها قول الرسول ﷺ: "لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلا مسلماً"، ويقال أيضاً: "لا يجتمع دينان في بلاد العرب" أي في جزيرة العرب"[٥].

ويشير القاضي أبو يوسف إلى أن إجلاء عمر بن الخطاب لنصارى نجران، إنما كان نتيجة لنقضهم بعض شروط عهدهم مع الرسول ﷺ مثل ترك الربا، فلما استخلف عمر بن الخطاب أصابوا الربا[٦]، وأصبح لزاماً على الخليفة أن يجليهم عن أراضيهم، ونتج عن تعامل أولئك النصارى بالربا، أن عظمت ثروتهم، وزاد بأسهم، وأحكموا السيطرة على

---

(١) انظر: القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم. كتاب الخراج. تحقيق إحسان عباس (دار الشروق، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص ١٩١-١٩٢. وفي مصادر أخرى وردت بعض الاختلافات في مفردات هذا الخطاب، لكن المضمون واحد. للمزيد انظر: الطبري، ج٣، ٣٢١، ٣٢٢، حميد الله، ص ١٩١-١٩٢، لويس شيخو، النصرانية وآدابها، ص ٢٨.

(٢) ابن القيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، (تحقيق صبحي الصالح، ط جامعة دمشق، د. ت)، ص١٧٩، الطبري، ج٢، ص ٣٤٣.

(٣) فاطمة مصطفى عامر، ص١٢، محمد كرد علي، ج٢، ص ١٣٠.

(٤) للمزيد انظر: البلاذري، ص ٧٧، أبو يوسف، ص ١٩١، ابن القيم، ص ١٤٠.

(٥) انظر: البلاذري، ص ٧٧-٧٩، ابن القيم، ص ١٤٠، محمد كرد علي، ج٢، ص ١٣٠، ابن جريس، ج ١، ص ٩٠.

(٦) القاضي أبو يوسف يعقوب، ص ١٩١.

البلاد اقتصادياً، حتى أصبح اقتصادهم يهدد الاقتصاد الإسلامي الوليد، وذلك مما أثار القلق في قلب الخليفة عمر فأجلاهم عن نجران، وخرجوا الى بلاد العراق والشام[١]. وهناك رواية أخرى للبلاذري تذكر أن نصارى نجران قد تكاثروا وبلغ عددهم أربعين ألفاً، وبدأ الشقاق والتحاسد بينهم، فلجأوا إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فطلبوا منه أن يأذن لهم بالجلاء عن بلادهم إلى غيرها فوافق[٢]، ويقال إنهم ندموا بعد ذلك فعادوا يطلبون العفو من الخليفة عمر والسماح لهم بالعودة إلى بلادهم فرفض[٣]، ولكننا نرى أن تصرف الخليفة عمر بن الخطاب إزاء نصارى نجران كان بسبب اشتراكهم في حركة الردة مع الأسود العنسي، ونستدل على ذلك ببعض الأحداث، فالمصادر تشير إلى أنه عندما اشتعلت حركة الأسود العنسي في اليمن والسروات، كان خروجه على مقربة من نجران، وكان النجرانيون وبخاصة النصارى من أوائل مناصريه[٤]، ويؤكد ذلك نص كتاب عمر بن الخطاب إليهم قبل إجلائهم عن أرضهم ، فقال :(بسم الله الرحمن الرحيم، إلى أهل رعاش كلهم السلام عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإنكم زعمتم أنكم مسلمون ثم ارتددتم بعد، وإن من يتب منكم ويصلح لا يضر ارتداده ونصاحبه صحبة حسنة، فمن أبى إلا النصرانية فإن ذمتي بريئة ممن وجدناه بعد عشر تبقى من شهر الصوم من النصارى بنجران"[٥]، أما باقي أهل الذمة في نجران فقد ظلوا يزاولون أعمالهم بحرية كاملة تحت مظلة الخلافة الإسلامية، حتى مجوس نجران عاملهم المسلمون معاملة أهل الذمة، حيث يوصي بحسن معاملتهم، عندما قال " من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه "[٦].

خامساً : آراء ووجهات نظر :

١. ما تم إيراده في هذا القسم محاولة لفتح أبواب ومحاور جديدة مازالت تحتاج إلى دراسات عميقة في الرصد والتحليل، ونأمل أن يأتي من أبنائنا في برامج الدراسات العليا، بأقسام التاريخ والآثار، أو من الباحثين الجادين من يكمل ما قصرنا فيه، أو يصحح ما أخطأنا في تدوينه وتصحيحه .

٢. لم تكن بلاد نجران وتهامة والسروات معزولة عن العوالم السابقة لعصر الإسلام وبعده، وإنما كانت على صلات بتلك الأمم سياسياً وحضارياً، ولا ندعي الكمال

---

(١) انظر: محمد كرد علي، ج٢، ص ١٣٠ .
(٢) انظر : البلاذري، ص ٧٨ .
(٣) البلاذري، المصدر نفسه، ص ٧٨ .
(٤) للمزيد، انظر : الطبري، ج٣، ص ٣١٨، ابن خلدون، ج٢، ص٦٠، عصام الفقي، ص ٣٨.
(٥) البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص ٦٦٠، وللمزيد انظر: البلاذري، ص ١١٣ .
(٦) انظر : عصام الفقي، ص ٢٨٩ .

فيما تم تدوينه، وإنما مجال البحث في تلك الحقب ما زال غنياً وواسعاً .

٣. ظهر لنا في هذا المبحث أن بلاد نجران وتهامة والسراة كان لها إسهامات كبيرة في التطور التاريخي الذي عرفته الجزيرة العربية خلال عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين (رضوان الله عليهم) ، كما أن السرويين والتهاميين لعبوا أدواراً مختلفة في عصر الفتنة الكبرى في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وفي الصراع الذي وقع بين الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبني أمية الذين سيطروا على الخلافة الإسلامية بعد العصر الراشدي .

٤. ما زالت بلاد نجران وتهامة والسراة بحاجة ماسة إلى بعض الأبحاث الأكاديمية التي تدرس تاريخها وحضارتها قبل الإسلام، وفي عصري الخلفاء الراشدين وخلفاء بني أمية، ونستطيع القول إن المصادر التقليدية لا تشفي الغليل لدراسة تلك الأزمنة، وإنما الدراسات الأثرية أفضل وأهم، ونأمل أن يأتي من يهتم بها، لعلنا نعثر على تاريخ حقيقي لهذه البلاد وبخاصة بعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية، وخروج الخلافة الإسلامية من الجزيرة العربية إلى بلاد الشام والعراق وغيرها.

٥. المقارنة بين أحوال السرويين والنجرانيين والتهاميين قبل الإسلام وبعده موضوع يستحق البحث، فقد تغيرت التقاليد والأعراف بعد ظهور الإسلام، وبعضها استمر العمل به في ظل الدولة الإسلامية، ومثل هذه الجوانب جديرة بالبحث والتحليل، كما جرى في عصر الإسلام بعض التحولات في عقائد الناس وتركيباتهم السكانية عما كانوا عليه في العهود السابقة، ومثل هذه التغيرات تستحق أيضاً الاهتمام والدراسة .

٦. هناك مئات الأعلام من التهاميين والسرويين والنجرانيين قبل الإسلام وبعده، وتواريخهم وإسهاماتهم تستحق البحث والتدوين، وكتب التراث الإسلامي مليئة بالتفصيلات التاريخية والحضارية لأولئك الأشخاص، فحبذا أن نرى باحثاً جاداً يحصرهم ويكتب عنهم .

٧. هناك أسماء مواقع قديمة قبل الإسلام وبعده، جرت فيها وقائع وأحداث تاريخية وحضارية، وبعضها مازال يحمل الاسم القديم . والواجب على المؤرخين والجغرافيين والآثاريين التعاون في دراسة مثل هذه الأماكن حتى يعلم جيل اليوم بالأهمية الحضارية لتلك المواقع، ومن ثم ربط تاريخ هذه البلاد الحديثة بأمجادها وحضارتها القديمة.